

د . عبد الله الطارقي

نفس وأحياة

قراءة في

رسالة في بيان استعمالات لفظ النفس
في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

جمع الفقير إلى الله تعالى
عبد الله بن عثمان بن موسى
المعروف بمستجي زاده
(ت: ١١٥٠ هـ)

تقديم

أ. د . عبد العزيز بن علي الحربي
رئيس مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة

د. عبد الله الطارقي

نفس واحدة

قراءة في

"رسالة في بيان استعمال لفظ النفس في كتاب الله تعالى وسنة رسوله

صلى الله عليه وسلم.

لعبد الله بن عثمان بن موسى المعروف بمستحي زاده

(ت: ١١٥٠ هـ).

تقديم

أ.د. عبد العزيز بن علي الحربي

رئيس مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

نفس واحدة:

قراءة في "رسالة في بيان استعمالات لفظ النفس في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لمستجي زاده".

د. عبد الله الطارقي

ردمك: ١٥٧٩-٦-١٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- النفس ٢- الروح ٣- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان

ديوي ٢١٤,٥

رقم الإيداع: ١٤٤٠/١١٤٧٨

ردمك: ١٥٧٩-٦-١٠٣-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

تنسيق: الأستاذ: فهد بن محمد العفيف

صف وإخراج: الدكتور: عدنان فطاني

غلاف: الفنان: معاذ الشرقي

معالجة: المصمم: حسين الطارقي

الطبعة الأولى ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

المحتويات:

٩	تقديم
١٧	نفس واحدة!
٢٥	الفصل الأول:
٢٧	أولاً: بين يدي المخطوط:
٢٩	ثانياً: سبب العناية بالمخطوط:
٣١	ثالثاً: ترجمة المؤلف:
٤٠	رابعاً: إثبات نسبة المخطوط للمؤلف وعنوانها:
٤٢	خامساً: نسخ المخطوط:
٥٥	الفصل الثاني: تحليل نص المخطوط:
٥٧	أولاً: بين يدي تحليل نص المخطوط:
٥٩	ثانياً: الألفاظ المفتاحية عند المؤلف:

٦٤.....	ثالثاً: مركز دلالات النص:
٦٦.....	رابعاً: تفكيك نص المخطوط:
٦٨.....	خامساً: التحليل النقدي:
٧٠.....	سادساً: إعادة تركيب النص بعد التفكيك والتحليل:
٧١.....	سابعاً: الموقف من المؤلف:
٩٧	الفصل الثالث: نص الرسالة محققاً
٩٩	أولاً: بين يدي النص:
١٠٠	ثانياً: النص محققاً:
١٠٦.....	الفصل الأول:
١٠٧.....	الفصل الثاني:
١١١.....	الفصل الثالث:
١١٥.....	الفصل الرابع:
١٢١.....	الفصل الخامس
١٣٠.....	الفصل السادس:
١٣٤.....	الفصل السابع:
١٣٦.....	الفصل الثامن:

خاتمة: ١٣٩

أخيراً..... ١٤٧

مراجع العناية بالمخطوط ١٥١

تقديم

الدكتور عبد العزيز الحربي

ألقى إليّ الدكتور/ عبد الله الطارقي، كتابه "نفس واحدة"؛
لأنظر فيه، وأقدّم له. ونظرت فيه على عجل، والتقديم يحتاج إلى
قراءة بآناة، ولكن حسن تقسيم الكتاب، وجودة سبكه، وسهولة
تركيبه، مع ثقتي بإجادة المحقق .. كل ذلك كفاني مؤونة النظر
بتحقيق وتدقيق.

وموضوع الكتاب شائق شائك:

أما تشويقه، فمن وجوه:

منها: حسن الدراسة التي قدمها المحقق، ولا يكون ذلك
إلا عن جودة التصور.

ومنها: براعة المصنف في تركيب العبارة، وجمال الأسلوب.

ومنها: موضوع الكتاب، وهو النفس، والنفس تشتاق إلى
معرفة ما يتعلق بها.

ومنها: ولعي بكل دراسة لها تعلق بموضوع النفس، وقد كتبت في ذلك مقالات، وصنّفتُ كتابين، أحدهما: "خبايا النفوس"، والآخر "معاني الرُّوح" في القرآن الكريم، وهو شبيه بموضوع الكتاب المحقق.

وأما كونه شائِكًا؛ فلتداخل بعض معاني النفس في بعض، ولاختلاف أهل العلم في بعض المعاني، وللخلط بين المعنى الأصلي، والمعنى المراد.

وقضيت مدة من الزمن أُرجح فيه وجود نفوس متعددة في الذات الواحدة، ثم بدا لي رجحان أنها نفس واحدة متشكلة، تارة تكون مطمئنة، وحيناً لوامة، وآونة أماراة، ووقتاً راضية .. إلخ. ولا يكون ذلك لكل صاحب نفس.

ومن العلماء من يجعل الروح والنفس بمعنى واحد، والصحيح أن بينهما عموماً وخصوصاً وجهياً، يلتقيان في النفس التي بها حياة البدن، ثم يكون لكل منهما معان.

وفي ذلك يقول السيوطي:

والروح والنفس هما شيئان وقيل: شيء واحد، والثاني

اختاره العلامة ابن القيم لما رآه من دليل قيم

وعلى هذا يندرج المعنى الثالث، الذي ذكره المصنف، في المعنى الثاني، وكذلك المعنى الرابع هو بمعنى النفس التي في باطن الإنسان، ولكن عبر فيه بالجزء عن الكل، وكذلك المعنى الخامس، ومثله المعنى السادس، والمعنى السابع كالمعنى الخامس (الروح مع البدن)، فهذا والذات يستويان، وكذلك المعنى الثامن، نحو: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، فإنه بمعنى: منكم، أي: من ذواتكم.

وأما ما استدركه الدكتور/ عبد الله على المصنف فموضع نظر.

وقد استدرك عليه ثلاثة معان، قال: إن المفسرين ذكروها، وهي:

النفس بمعنى العقل، والنفس بمعنى آدم، والنفس بمعنى الأخ.

وأرى أنه لا حاجة إلى الاستدراك؛ لأن المعنى الأول لا دليل عليه، وإطلاق النفس على العقل اصطلاح كلامي، وإطلاقه على آدم عائد لمعنى الذات، أي: من ذات واحدة، والمراد آدم، وإطلاق النفس على الأخ غير دقيق؛ لأن قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، أي: على ذواتكم، فقولوا: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أو: ليسلم بعضكم على بعض، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، والنفس ههنا بمعنى الذات، وإنما جاء الكلام بهذا الأسلوب على ضرب من المجاز.

والحاصل: أن معاني النفس كلها تؤول إلى معنى واحد، وهو الذات، غير أنها تطلق - أحياناً - على ما به حياة الإنسان، وأحياناً على ذلك وعلى البدن.

وكذلك المعنى الأول الذي هو الذات الإلهية هو هو.

هذا ما ظهر لي بإيجاز، لا أرى أنه في حاجة إلى تفصيل.

ولعل المحقق الطَّارقي، يطرق الموضوع بشيء من التفصيل في الدِّراسة بعد إعادة النظر، وأن يحقق النظر في قولي، وكل يخطئ ويصيب.

وشكر الله له عمله، وبحثه، ودأبه؛ فهو ذو جد ونباهة منذ صباه، وكان أيام تدريسي بالمسجد الحرام، قبل نحو من ثلاثين عامًا، أحد النجباء، الفائقين أقرانهم، وهو اليوم على تميزه ودأبه. وإنما يتميز طالب العلم حقًا، بالتححرر من ربقة التقليد، على علم وبصيرة.

والله الموفق والهادي.

وكتب

أ.د. عبد العزيز بن علي الحربي

رئيس مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة

نفس واحدة!

هذه النَّفس الواحدة أَعيت الفلاسفة وذوي المحابر، وهرم في طلب البحث عن كنهها الأكبر، فقد أعادتهم جميعًا بغير يقين عنها!

وكان القبض على معناها دونه خرط القتاد، لأنها تستعصي على الدرس والتشريح ... إذ ليس لها أعضاء تشريحية أو غدد أو أحماض أمينية ... فحقائقها تشكل ثغرة معرفية كبرى^(١).

وستبقى تلك الثغرة المعرفية - مع غياب بيان الوحي -؛ لأن (نفس) الإنسان أعظم مما يمكن أن تقوله عنها العلوم مجتمعة!^(٢).

ولأجل كل ذلك نجد أن استنطاق جهد العلماء في العناية بالنَّفس وعلومها وقضاياها من خلال الرجوع للتراث الإسلامي

(١) انظر: رحلتي الفكرية، لعبد الوهاب المسيري، دار الشروق (ص ٣٠٧).

(٢) انظر: الإسلام بين الشرق والغرب، لعلي عزت بيغوفيتش، دار الشروق (ص ٥٢).

تقدمُ نحو تلك الثغرة المعرفية، وإسهام لحل أسرار ذلك اللغز من معارف الوحي وعلومه!

إن تجربة علماء التراث في العناية بالمباحث النفسية أمر مبهر، جدير بالعناية، وخليق بالاهتمام؛ وتأتي أهمية ذلك في التمكين من استثمار تلك الثروة لاقتراح حلول جديدة، والاستفادة من التجارب لإيجاد أجوبة عن بعض السؤالات العصرية التي لم تزل مفتوحة بلا جواب، أو تلك التي يمكننا إعادة النظر فيها! فكم من مقولات سارت بها الركبان؛ بُنيت على مقدمة مغلوطة ومفهوم مُنتحل!

ناهيك عن الثمار الجليلة التي نجنيها من هذا الصنيع، وأولها: إعادة بناء صلة العلوم النفسية بالدين؛ لأن البحث النفسي المترجم منبت الصلة عن الدين من أول مرة، وهذا أشبه بالمُسلمة التي لا ينكرها النّفسانيون، ولهذا حين ننجز بناء ذاتنا الخاصة في العلوم النّفسية، بالاتصال بالتراث والبناء عليه؛ سنصل بعدها لمرحلة الاتصال بالمنتج الحداثي المعاصر، لا لإقصائه بقدر ما نقوم باختباره وإعادة استثمار النّافع منه بعد إعادة صلته بالدين وبثقافة

المستفيدين من هذه الممارسات النفسية إرشادا وعلاجاً، وأول مدخل لذلك هو المفاهيم والمصطلحات.

ولهذا فنحن اليوم أمام مادة تراثية مصطلحية قريبة منا نسبياً من حيث الزمن، مادة ذكية الفكرة في انتزاعها لنسق علمي دسم من القرآن الكريم والحديث الشريف في معنى النفس الإنسانية ومفهومها.

وهي: رسالة مستجي زاده التي أسماها: رسالة في بيان استعمال لفظ النفس في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ستبقى هذه النفس الواحدة التي خلقت منها البشرية جمعاء، معنىً بليغاً بالغ الأهمية، ولهذا تكرر هذا اللفظ أعني النفس الواحدة في القرآن الكريم أربع مرات، بالتركيب والسياق ذاته، أعني سياق خلق البشرية كلها من النفس الواحدة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُوءَ رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء: ١]، وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي

أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿[الأنعام: ٩٨]، وقال: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ
وَاحِدَةٍ ﴿[الزمر: ٦].

إذا فنفس البشرية اليوم راجعة للنفس الواحدة، التي منها
خلقت، وبالتالي فإن إصلاح كافة شؤونها له مرجع واحد، يتصل
بالخالق الواحد للنفس الواحدة!

وبهذا نعيد لنصوص الوحي مكائنها في العلم بالنفس باعتبارها
المصدر الرئيس لقضايا النفس، إذا اجتهدنا وثورنا هذا النص
المعجز!

وليس معنى حديثي هنا إلغاء التجربة الإنسانية في حق النفس،
ولكن معناه أن نتخذ الوحي أصلاً، ثم تأتي التجربة بعد وضعنا
للأصول التي تهتدي بها التجربة بنور الوحي، فتتحقق مصلحة
الدنيا ومصلحة الآخرة معا.

بقي أن أشكر كل من أعانني على إنجاز هذا العمل ومراجعته
وتدقيقه؛ فأشكر أ.د. الشاهد البوشيخي على هذا الإهداء الثري،
وأشكر أ.د. مصطفى فوضيل على جهده ونصحه واجتهاده في

المراجعة والتدقيق، وكذلك أشكر أ.د. إدريس الجابري على توجيهه ونصحه، وأشكر المحقق محمد أجمل الإصلاحي على مراجعته ونصحه، وأشكر أ.د. عبد العزيز الحربي - رئيس مجمع اللغة العربية بمكة - على تقديمه للكتاب، وقد طلب مني مناقشة أفكاره والرد عليها، غير أنني لفرحي بها - ولو خالفتني - اكتفي بإيرادها كما هي؛ فالبحث العلمي ساحة تقبل القول والقول الآخر، علاوة على أنها تجربة عالم فذ، تعلمت منه وزملائي الكثير منذ كنا في المرحلة المتوسطة، ولا نزال نتعلم منه، جزاه الله عنا خيرا كثيرا، وأثابه أجرا عظيما على تعلمينا.

والله أسأل أن يتقبل العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجد فيه العاملون في العلوم النفسية والمهتمون بها ما ينفع.

الفصل الأول: مقدمة

- أولاً: بين يدي المخطوط.
- ثانياً: سبب العناية بالمخطوط.
- ثالثاً: ترجمة المؤلف.
- رابعاً: إثبات نسبة المخطوط للمؤلف وعنوانها.
- خامساً: نسخ المخطوط.

أولاً: بين يدي المخطوط:

النفس الإنسانية أهم مكون في هذا الإنسان؛ ولهذا استحققت أن يكون حجم الورود للفظها في القرآن الكريم (٢٩٨) موضعاً، وفي الصحيحين ما يزيد على (٢٠٠) موضع؛ الأمر الذي يدل على مركزية هذه النفس في علوم الوحي.

ولهذا لم يخل قرن من قرون الأمة، منذ بدء التدوين إلى اليوم، من مصنفات خاصة تُعنى بالنفس الإنسانية باسمها «نفس»؛ ففي القرن الثالث ظهر كتاب «آداب النفوس» للحارث المحاسبي (ت: ٢٤٣هـ)؛ وفي القرن الرابع كتاب «النفس والروح» للرازي (ت: ٣١٣هـ)، وكتاب «مكر النفس» للحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ)، وكتاب «مصالح الأبدان والأنفس» للبلخي (ت: ٣٢٢هـ)؛ وفي القرن الخامس: «مداواة النفوس» لابن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، وفي القرن السادس: ظهر

كتاب «معارج القدس في مدارج معرفة النفس» لأبي حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ)، وغيرها من المصنفات عبر تاريخ الأمة الطويل.

ولهذا لم يكن من المستغرب على المكتبة الإسلامية أن نجد فيها نصوصاً مخطوطة في العناية بالنفس الإنسانية، كما صنع صاحبنا عبد الله بن عثمان بن موسى الرومي، المعروف بمستجي زاده، في القرن الثاني عشر، في رسالته التي أسماها: «رسالة في بيان استعمال لفظ النفس في كتاب الله (تعالى) وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم)».

بقي أن أخبر القارئ الكريم، أن المخطوط أهدانيه؛ أستاذنا الدكتور الشاهد البوشيخي - حفظه الله -، ثم حصلت على النسختين الآخرين للمخطوط كما سيأتي تفصيل وصفها.

وأشير إلى أني عمدت إلى استعمال منهجية تحليل المحتوى لنص المخطوط وفق المنهج التكاملي في تحليل النصوص الذي وضعه الدكتور / إدريس نغش الجابري - حفظه الله -.

ثانيًا: سبب العناية بالمخطوط:

لقد كان السبب الباعث على العناية بهذا المخطوط ثلاثة أمور:

الأمر الأول:

أن المخطوط يسهم بوضوح في إثراء حقل العلوم النفسية المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف، ويفتح آفاقًا متعددة في استثمار هذا العمل المهم الذي وضعه هذا العالم المحقق.

الأمر الثاني:

أن المادة الثرية التي اشتمل عليها المخطوط هي بمثابة الصرخة المنبهة للنفسانيين المسلمين للرجوع لبناء ذات خاصة بنا في العلوم النفسية، من خلال الاشتغال بهذا الكم الكبير من الآيات والأحاديث التي اهتمت بالنفس الإنسانية، وذلك ما يمكننا من أن نُشعر الأجيال المتلاحقة أن العلم بالنفس الإنسانية أصيل في تراثنا، وليس علمًا غريبًا فقط!

الأمر الثالث:

أن نعلم ويعلم الجميع أن النفس الإنسانية ذات منزلة عظيمة القدر عند الله - تعالى -؛ ولهذا كان هذا الحضور الكبير لها في نصوص الوحي، ولا بد أن ذلك الزخم يحمل رؤية منهجية، وهدى وإرشادا لتفهم النفس والتعامل معها، وإصلاح عيوبها واستثمار قواها.

إنها مادة مسهمة في إخراج إنسان الوحي؛ "ابن آدم" - عليه السلام - عوض ابن القرد^(١).

إنها مادة تُخرج «الإنسان الكوثر» كثير النفع للبشرية، لا «الإنسان الأتر»^(٢).

(١) كما يقول الشاهد البوشيخي.

(٢) كما يقول طه عبد الرحمن.

ثالثاً: ترجمة المؤلف:

جهدت كثيراً في البحث عن ترجمة وافية للمؤلف، غير ما كتب خير الدين الزركلي في «الأعلام»^(١)، والنبذة اليسيرة في «هدية العارفين»^(٢)، وكذلك مثلها في «معجم المؤلفين»^(٣)، حتى وقفت على ترجمة وافية حررها سيد باعجوان في تحقيقه لكتاب للمؤلف بعنوان: «المسالك في الخلافات»^(٤)، فاكتفيت بها؛ لغنائها واستيفائها أبعاد الترجمة للمؤلف - رحمه الله -.

اسمه ونسبه:

هو الإمام العالم العلامة النحرير عبد الله بن عثمان بن موسى الرومي الحنفي، الإستانبولي، المعروف بمستحي زاده.

(١) الأعلام للزركلي (١٠٣/٤).

(٢) هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي، طبع وكالة المعارف - إستانبول، (١٩٥٥)، (١/٢٥١).

(٣) معجم المؤلفين لرضا كحالة، الرسالة، بيروت - لبنان، (١٤١٤)، (٢/٢٦٥).

(٤) انظر: المسالك في الخلافات بين المتكلمين والحكماء، لعبد الله بن عثمان بن موسى أفندي، المعروف بمستحي زاده، دراسة وتحقيق: د. سيد باعجوان - أستاذ التاريخ والفرق الإسلامية، المساعد بكلية الإلهيات - جامعة سلجوق بقونية، دار صادر، بيروت - لبنان، مكتبة الإرشاد - إستانبول، ٢٠٠٧م، ١٤٢٨هـ (ص ١٦).

وقد ذكر نسبه بنفسه في رسالته هذه فقال: «وأنا الفقير إليه تعالى: عبد الله بن عثمان بن موسى. وهو المعروف بمستجي زاده».

وذكر محقق كتابه «المسالك في الخلافيات»، سيد باعجوان، تقرير نسبه في ترجمة مستفيضة، جاء فيها: أن هذا النسب اتفق عليه من ترجم له، وهم: «مجلة النصاب»، والزركلي في «الأعلام»، و«بروكلمان» في «ذيل تاريخ الأدب العربي»، وإسماعيل باشا البغدادي في "إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون».

وساق البغدادي نسب مستجي زاده قائلا: «عبد الله بن عمر بن موسى الرومي الحنفي». وتبعه عمر رضا كحالة في «معجم المؤلفين» فزاد كل من إسماعيل باشا وكحالة (عمر) في نسبه كأب له. وأما فندقلي عصمت أفندي فذكر نسبه هكذا: «عبد الله بن موسى بن عثمان»، فقدم اسم الجد على الأب في ذكر نسبه.

والذي يبدو أن الرجل أعرف بنسبه، فما قاله أولى بالاعتماد، (وهذا ما أعتمدته هنا)، ونسبته الإستانبولي: تعود إلى نسبه إلى البلد الذي ولد ونشأ فيها إستانبول.

وأما نسبته بالرومي: فهي نسبة إلى بلاد الروم التي ولد فيها، ونسبته بالحنفي: فهي نسبة إلى مذهبه الحنفي.

وأما شهرته «مستجي زاده»، فهي كلمة مركبة من كلمتين وأداة النسبة: أما الأولى: «مست»، فمعناها بالتركية «الخف»، وأما أداة النسبة «جي»، فهي تفيد النسبة إلى مهنة، مثل: قهوجي، وشربجي، وما إلى ذلك في اللغة العامية الدارجة؛ فمعنى الكلمة «مستجي» - باللغة العربية - : «صانع الخف وبائعه»، أي "الخفاف".

وأما الكلمة الثانية «زاده»، فهي فارسية الأصل، ولها بديل بالتركية، وهو "أوغلي"، ومعناها بالتركية: ابن؛ فمعنى الاصطلاح "مستجي زاده": «ابن الخفاف». والذي يبدو من هذا أن أحد آبائه كان يزاول مهنة صناعة الخف أو بيعه؛ فنسبه إليها لذلك.

قال باغجوان: هذا ولقد وقع في ضبط شهرته «مستجي زاده» تحريفات عديدة بعيدة عن الصواب: فتحرفت إلى «مستحي زاده» عند الزركلي في «الأعلام»، وإلى «مسيحي زاده» عند «روكلمان» في «ذيل تاريخ الأدب العربي»، وإلى «مسيحي زاده» عند «فرانز بابنكر» في «المؤرخون العثمانيون ومؤلفاتهم»، وإلى «مستجي

زاده» في «فهرس الكتب العربية والتركية والفارسية» في مكتبة
الغازي حسين بسرايوا.

مولده ونشأته وطلبه للعلم:

ولد «مستجي زاده» عبد الله أفندي بمدينة إستانبول - عاصمة
الدولة العثمانية آنذاك -، ونشأ بها نشأة علمية ودينية، كما هي
العادة في نشأة العلماء، وليست لدينا معلومات تفصيلية عن
طفولته، أو نشأته الأولى، ولا عن عائلته وأفراد أسرته؛ إذ لم يذكر
المؤرخون وكتاب التراجم أخبارا شافية عنه في هذه المرحلة، شأنه
في ذلك شأن كثير من علمائنا القدامى المغمورين.

وذكر فندقليلي عصمت أفندي أنه تزوج، ورزق من هذا
الزواج بولد، اسمه عثمان، كما هو منصوص عليه في مقدمة
مخطوطة «حاشية على أنوار التنزيل» للبيضاوي بمكتبة آيا صوفيا،
كما رزق بنت تزوج بها تلميذه المولى محمد أسعد بن عثمان بن
شكر الله.

منزلته العلمية:

بعد أن درس العلوم الآلية والعالية على نحارير زمانه - كما هي العادة لدى طلاب العلم أيامه - اكتمل تكوينه العلمي والإداري، وصار من أكابر العلماء والقضاة العثمانيين في عصره، فملازمته لأعلام عصره في العلوم المختلفة، وقراءته عليهم الكتب المتعلقة بتلك الفنون؛ جعلته يتقن أكثر من فن وعلم. ونجد في أسماء الكتب التي ألفها دليلاً على ذلك. ولا شك أنه كان ممن يختلف إلى الشيوخ، وتلقى العلم من أفواههم.

لكن كتب التراجم التي وقفنا عليها - الحديث للمترجم - لم يرد فيها ذكر لهؤلاء الشيوخ الذين تتلمذ عليهم.

تلاميذه:

كما بينا أن «مستجي زاده»، عبد الله أفندي، قد اشتغل مدة طويلة بالتدريس في مدارس عديدة، وطيلة هذه المدة لا شك أنه قد كان له تلاميذ قرأوا عليه، وأخذوا عنه، وتخرجوا به، ولكن مؤرخيه لم يذكروا أحداً من هؤلاء التلاميذ، إلا أنني وجدت منهم اثنين في كتب التراجم التي وصلتنا، وهما:

المولى فايز محمد أسعد بن عثمان بن شكر الله
(ت: ١١٦٥): درس على النحرير «مستجي زاده»، عبد الله أفندي،
العلوم الآلية والعالية، واكمل تكوينه العلمي على يديه، ثم تزوج
ابنة شيخه «مستجي زاده»؛ فصار صهره له.

المولى فايز خليل بن مصطفى بن عيسى (ت: ١١٣٤):
درس العلوم الآلية والعالية على مشاهير زمانه: قره خليل،
وبوستان صالح، و«مستجي زاده»، عبد الله أفندي، وبعد أن تخرج
في العلوم الآلية والعالية على أيديهم بدأ بالتدريس، وبزمن قصير
اجتمع عنده طلاب كثير، واشتغل بالشعر مدة، ولفت أنظار شعراء
زمانه، كما اشتغل بالعلوم الرياضية، وأصيب بعشق قاتل، ولم
يتحمل هذا العشق؛ فشئق نفسه في بيته بقرب يدي قله (أي القلاع
السبع) بإستانبول، وذلك في سنة ١١٣٤ هـ، وله مؤلفات كثيرة
ذكرها محمد طاهر البروسي^(١).

(١) المصدر السابق.

مناصبه:

وبعد أن أتم دراسته العلمية على يد أكابر علماء زمانه؛ صار مدرسا، وظل يترقى في التدريس متنقلا من مدرسة إلى مدارس عليا، ومن وظائف قضائية وإفتاء إلى أعلى المراكز في الإفتاء، كما هي العادة في نظام الترقية عند الدولة العثمانية في مجالي التدريس والقضاء.

مؤلفاته:

خلف «مستجي زاده» مؤلفات علمية وفكرية في أنواع من الفنون والمعارف الإسلامية والإنسانية؛ إذ هو عالم مشارك في التفسير والحكمة وعلم الكلام، وغيرها.

وله من التصانيف:

- اختلاف السيد وسعد الدين في مسائل شتى (في اللغة) - وهو مطبوع.
- إيضاح عبارة الملتقي في سجدة السهو - (مخطوط).

- ترجمة رسالة في فضائل صلاة الجماعة من العربية إلى التركية - (مخطوط).
- تعليقة على شرح العزي لسعد الدين التفتازاني في علم الصرف - (مفقود).
- رسالة في شرح معنى كلام الحكماء «ما ثبت قدمه امتنع عدمه» بعنوان «التهافت» - (مفقود).
- رسالة في علاقات المجاز - (مخطوط).
- حاشية على تفسير البيضاوي - (مطبوع).
- المسالك في الخلافات بين المتكلمين والحكماء - (مطبوع).
- وهو الذي استفدنا من ترجمة المحقق له في تلخيص ترجمة للمؤلف.
- رسالة في معاني النفس^(١) - (مخطوط). وهي رسالتنا هذه التي نحن بصدد تحقيقها وإخراجها.
- وغيرها من المؤلفات.

(١) المصدر السابق.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالعلم والتدريس والإفتاء والقضاء والتصنيف والخير أدركت المنية «مستجي زاده»، عبد الله أفندي، في اليوم السابع من شهر شعبان سنة خمسين ومائة وألف للهجرة. ودفن في حي محمد الفاتح بإستانبول في مقبرة «كسكين ده ده»، الواقعة في شارع «زنجرلي قيو» في الجهة القبليّة من مسجد «نشانجي محمد باشا»، وموقع قبره بالقرب من موقع قبر صاحب المؤلف الشهير «ذيل الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية» عشاق زاده إبراهيم أفندي، رحمهم الله -تعالى- رحمة واسعة وأسكنهم فسيح جناته^(١).

(١) المصدر السابق.

رابعاً: إثبات نسبة المخطوط للمؤلف وعنوانها:

تأكد للباحث نسبة هذه الرسالة إلى المؤلف من خلال ما يأتي:

١- ما نص عليه المؤلف في بداية الرسالة؛ حتى إنه أرخ لزمن الشروع في كتابتها، والمكان والعمل الذي كان منشغلاً به بعدها، حيث يقول:

(رسالة في بيان استعمال لفظ النفس في كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله، جمعتها بالتماس بعض الإخوان لما شاهد الاختلافات في استعمال هذا اللفظ، وأنا الفقير إليه -تعالى- : عبد الله بن عثمان بن موسى، والجمع وقع بعد خروجي من سلانيك، قبل شروعي في حاشية البيضاوي، سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف في منزلي بقسطنطينية).

٢- نسب الكتاب إلى المؤلف في كتاب مجموعات مخطوطة في مكاتب استانبول من منشورات (الإلسكو) وفيه: ضمن مجموع لمخطوطات بخط واضح (معاني النفس النفسية، المؤلف عبد الله بن عثمان بن موسى، المعروف بمستجي

زاده (ت: ١٥٠ هـ) وأوله : «سبحان من جعل للإنسان نفساً أقسم عليها ...» تاريخ التأليف: سنة ١١٣٣ هـ^(١).

٣- إشارة الدكتور سيد باغجوان -المتقدم ذكره- بتصريحه أن الرسالة لصاحبنا حسب ما وجدته في نسخة أسعد أفندي حيث يقول: (رسالة في معاني النفس (خ) لم يذكرها أحد من المترجمين له. ألفها سنة ١١٣٣ هـ، كما هو مصرح في نهاية نسخة أسعد أفندي^(٢)).

٤- عند مقارنة خط المؤلف في النسخة الرئيسة بخطه في صورة مخطوط كتابه «المسالك في الخلافات بين المتكلمين والحكماء»، الذي حققه ونشره باغجوان، نجد التماثل بين الخطين ظاهراً.

-
- (١) انظر: مجموعات مخطوطة ضمن مشورات معهد المخطوطات العربية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للدكتور طه محسن البغدادي ص ١٣، ويظهر أنها نسخة عاطف أفندي التي هي النسخة الثالثة -كما سيأتي- بدلالة تاريخ المقابلة على النسخة الأصلية ١١٣٧، وكذلك اشارته في أول وصف للمجموع أنها بخط واضح جميل.
- (٢) انظر: المسالك في الخلافات بين المتكلمين والحكماء، لعبد الله بن عثمان بن موسى أفندي، المعروف بمستجي زاده (ص ١٦).

٥- تأكيد الخبراء في تحقيق نصوص التراث أن النسخة الأولى، التي تم اعتمادها، نسخة رئيسة هي بخط المؤلف فعلا، وممن أكد ذلك: الباحث والمحقق محمد أجمل الإصلاحي. ووافقه المحقق عزيز شمس -حفظهم الله تعالى-.

٦- وظاهر أن عنوان الرسالة المذكور في النسخة الخطية التي هي بخط المؤلف هو اسمها الصحيح؛ فتكون التسمية: بمعاني النفس، أو معاني النفس النفسية تعبير عن موضوع الرسالة.

خامساً: نسخ المخطوط:

وقفت على ثلاث نسخ مخطوطة لهذه الرسالة، وهي كما يأتي:

١- النسخة الأولى: نسخة مصورة بمكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، تحت رقم: ٢٣٨ / ٨٠، الرسالة ٥، وأصلها في مكتبة عارف حكمت^(١)، تحت رقم: (٣٥٧٩ / ٢ (ق ١٦ب-٢٧ب).

(١) مكتبة عارف حكمت: هي من أكبر المكتبات الوقفية التي تم ضم محتواها إلى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة؛ جراء التوسيعات بالمسجد النبوي الشريف.

وجاءت في عدد سبع لوحات، وبها مواضع مطموسة،
وخروج للنص على جوانبها.

وكل القرائن تشي بأن هذه النسخة هي بخط المؤلف، كما
أسلفت آنفا؛ ولذلك فقد اعتبرتها هي الأصل، ورمزت لها
بحرف: (أ).

٢- النسخة الثانية: نسخة محفوظة بمكتبة أسعد أفندي، تحت
رقم: (٣٥٧٩)، مكتوب على ورقته الأولى: (هذه رسالة
شريفة لمعاني النفس النفيسة لأستاذنا الفاضل التحرير
مستجي زاده عبد الله أفندي نال مراده)، تم نسخها في رابع
شهر محرم الحرام سنة ١١٣٣ هـ.

عدد لوحاتها ثماني لوحات، واعتنى ناسخها بتخريج الآيات
بين السطور. ورمزت لها بحرف (س).

٣- النسخة الثالثة: نسخة محفوظة بمكتبة عاطف أفندي، تحت
رقم: (٢٧٩٧)، تم نسخها في ربيع الأول ١١٣٧ هـ.

وعدد لوحاتها ٢٣ لوحة، مكتوبة بخط مقروء وواضح.
ومكتوب عليها -أيضاً-: (هذه رسالة شريفة لمعاني النفس



النفيسة لأستاذنا الفاضل النحرير مستجي زاده عبد الله أفندي
نال مراده)، واعتنى ناسخها بتخريج الآيات بين السطور.
وهذا يؤكد أن هذه النسخة منقولة من السابقة، كما دلت عليه
المقابلة. ورمزت لها بحرف (ع).

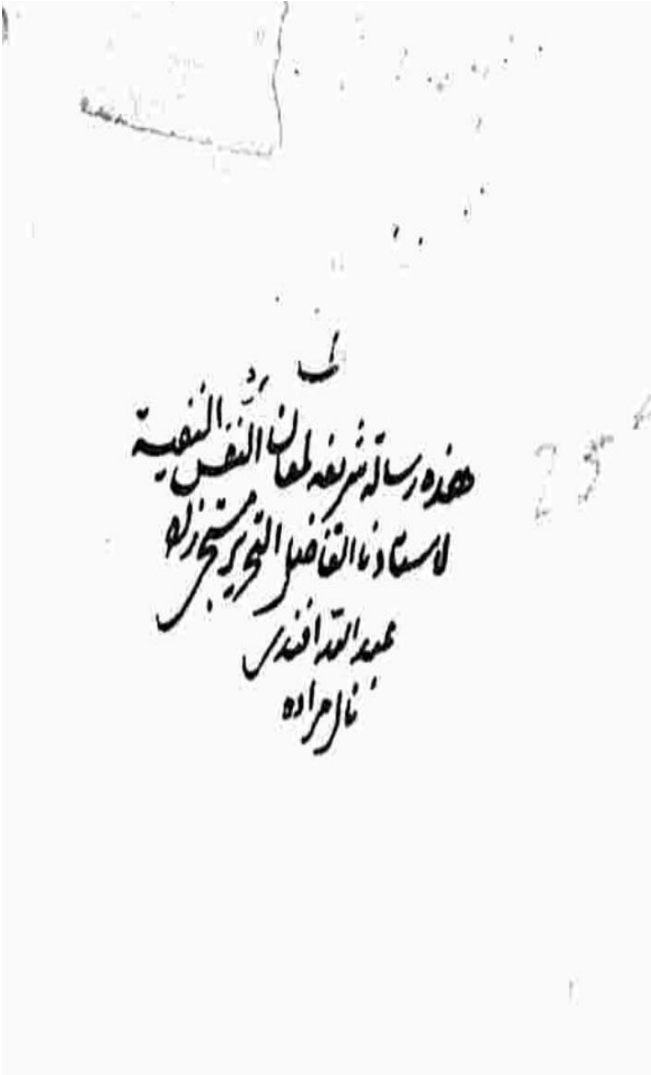
٤١

رسالة في بيان استعمالات لفظ النفس
 في كتاب العدد ثمان وسنته رسول جبرتها
 بالتماس بعض الاخوان لما شاهد
 الاختلافات في استعمال هذا اللفظ
 وانا الفقير اليهم ثمان عشرين بن عثمان
 ابن موسى والحجج وقع بعد ذلك
 من سلمان بن قيس بن رجب
 في كتابة البصائر سنة احدى
 وثلاثين ومائة والى
 في غير النفس فتنية

صورة الصفحة الأولى من نسخة مكتبة عارف حكمت، المرموز لها بحرف

ميثاق بالإنسان تعلق التدبير السرف وأثبت مثل هذا السر المحر الذي لا يتبين
 التغير في الاقطار والظلال والهباء وقبول الباشرات الحسية ما اخترع الحكماء
 والعلماء منهم بابا لهم العارسة وكتب الانبياء الاقدمين واسفار الانبياء وكلهم
 كلها ناطق بكلامه فما يظن بالربعة اليه وهذا ككتابنا غير تأييده وجعل كلامه ينطق علينا
 بالحق كقوله الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده تنزل الملائكة والروح ذريته
 باذن ربهم من كل سرا على في عبادي وادخل جنتي ابي ناد في اهلان عبادي وفي دخل
 سرا جنتي وندبهم انفسهم ومن كانوا من حامل الملائكة رساوا على ارجلهم حتى وثقت
 دربا ولا تحسبن الذين يتولوا في سبيل الله املات بالاصياء وعنده ربهم ميزون قال
 سيد المرسلين علي وعلى خواتمه المرسلين صلوات الله وسلامه ارحم الراحمين في حق
 طهر خضر تشرق في رايته الخبيثة والظلمة من اهلها واخرج كل من هذه الرضوة من الرضوة من طهرها
 تبتلغات نازعها الطباع السليمة وتفسحات تنبع منها القلوب المستقيمة جرد التوفيق
 والمطيعون على قواعد الهداية سنة التي لا تهاول تقص قواعد السلام وهذا من اسرار الله
 من الصفات البشرية والكليات الجوانية على ربه وعلى ونا على اذنا ما كان متفقد
 مع ان العيب كل العيب انما دعوت اليه ضرورة وروية ولا مست اليه حاشية سرية وازمنة
 جرمه والتمكين واهل الحديث على ان الملائكة والارواح البشرية اجساما لطيفة ورقيقة
 على اسرار حلول في جميع اجزاء العقل وهذا في العقل عند من ينزل الى اجزاء الانسان لا سائر العقول
 في دماغه ويطلقون النفس ايضا على المزاج الثابت في الدماغات ويطلقون النفس في
 وعلى المزاج الثابت في العيونات ويطلقون النفس في الجوف ثم وكل من جسد جسمه في
 انما هو متحرك في القلوب وادركهم فيهم في ذراعهم من جسد الحرام سنة تلك وقيل في قوله

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة عارف حكمت، المرموز لها بحرف



صورة الصفحة الأولى من نسخة مكتبة أسعد أفندي، المرموز لها
بـ (س).

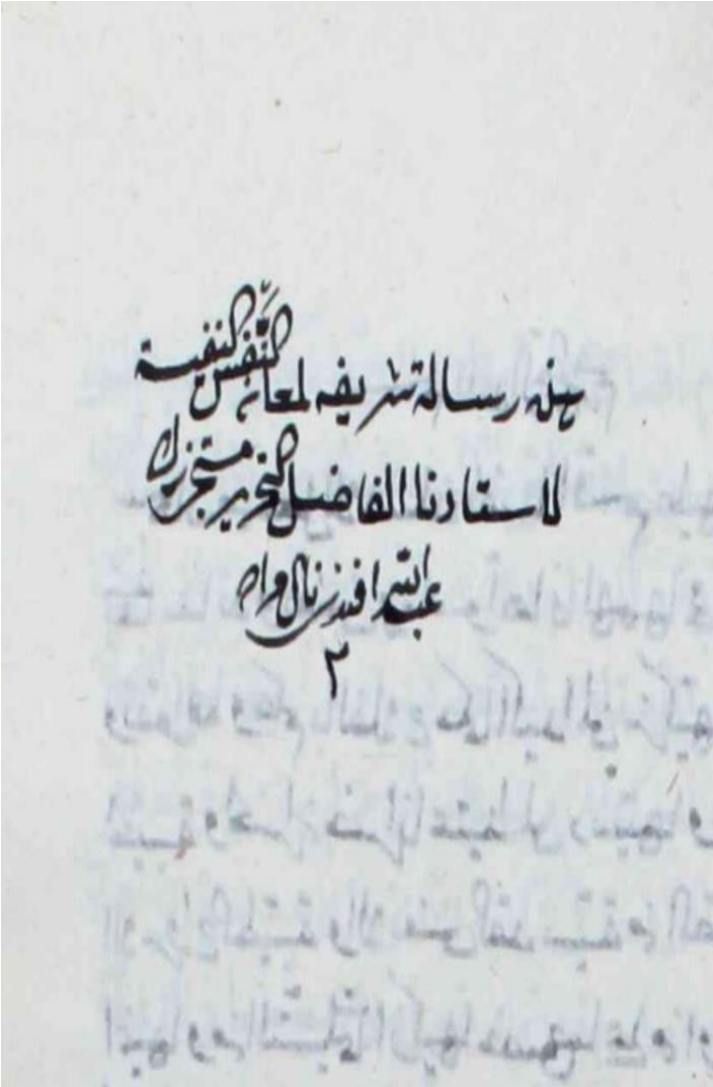
بسم الله الرحمن الرحيم
 سبحان من جعل لنا نفسا أقسم عليها فقال تعالى سبح وفسد ما سواها فالنفس نجوا
 وتصورها وحكم بالفلاح حكم الكيد المنزك لها وبالجنة والخسران عنتها لمن يستبها
 الأرواح الطيبة والأنافس القبيحة من الصلوة إليها ومن التسليم أركبها فصوصها
 على من أوى من الكتب أحدها ومن الكفا لا استسحاها وعلى آله وأصحابه الذين أشتا
 وخر السبل أحدها ومن الكفا لا جعلها وحده فأنه لفظ النفس لما كان مستعمل في كلام
 الله تعالى وكلام رسوله في معنى مختلفة مدلولات متفاوتة ومفهوم متباينة مع أن هذا اللفظ
 كغيره الورد والنفاد والارادت أنه أو كل قول واحد من تلك الكفا منفردا بمسألة الواحدة في كلام الله
 تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم حسب ما ظفر به ولفظته مثالا لما مثلته فإن المقصد
 خطائيه والمطلب طيق والمقام اقتناع في قيل ما يقع في الفنونه والخيال لا يفتق
 بطلب فيه كرم واليقين ولعمري أنه موقر ذلك إحدى تعاريف العصا لمن تراول كتاب الله تعالى
 وهدى وحرارة وكذا الكلام للراولين الكلام رسول فإن من لم يرسخ في معرفة الحكم الواحدة
 في كتاب الله وكلام رسوله واستعمل في العاربية ربما وقع في مواضع شريها في الأغلاط والأهواء
 سيما في كلام النفس لا خلت معانيها وتفاوت مدلولاتها ونبات يستعمل لأنها ألفت إلى موضوعها
 ولا يحصل الوقوف عليها من كتب اللغات بسهولة فوضعت هذا الجمع المتشابه في التعارض في علوم
 العربية لمن له قدم راسخ فيها ووجع الفنون الأدبية فإنه غير محقق إلا هذا الجمع واللفظ
 فبعدت لكل واحد من تلك النفس مع امثلة المذكورة فليسا وإيضاحه فمصل على جهة قصد تفصيل
 الكتب إلى ثمانية أعداد ثم ارد فيها ما تحتمل ذكر فيها ما يتعلق بتلك الفصول والادعاء هو مسؤل
 أن يجعلها لصاحبها الكريم أنه على ذلك قدروا بلا جانه جديره الفصل الأول في هذا اللفظ
 بمعنى ذات الله تعالى حاشية قال الله تعالى وأصطغنا لنفسي في خير ثم الله تعالى فقلن ما من
 السموات والأرض قلن قد كنتم على نعمة الرحمن وادها ربك الذين آمنوا به ما يفعل بهم عليكم
 كتب ربكم على نعمة الرحمن نعمة ما في نفسي لا أعلم ما في نفسي وفي الحديث القدسي الوارد في الصحيح
 يا عبداي أني قد منن عليكم على نفسي جعلته حرم ما بينكم فلا تظالموا الفصل الثاني في أنه يحى
 بمعنى الروح الأناشي وهو إلى اللطيف إلى آله البدر عند جمهور المتكلمين وأهل الحديث
 قال الله تعالى يا أيها النفس المطمئنة أرحي إلى ربك راضية مرضية فادخلني عبادي وادخلني
 حتى أفرج عني ربك الذي ألتى به وأرجع إلى ربك راضية مرضية فهذا حال أهل البرزخ
 إلى البعث والشور ثم أراحهم الألب وبقال لها فادخلني عبادي إلى أن فادخلني عبادي
 عبادي كما دخلت أولاد فادخلني مع ربك الذي خللت فيه ولو تخرج إذا الظالمون في غير
 الموت والحياة بسطوا أيديهم فخرجوا أنفسهم عما برده الله بعده بهم بها في الحياة الدنيا وترهق

صورة الصفحة الثانية من نسخة مكتبة أسعد أفندي، المرموز لها

بحرف (س).

انكسرت ايضا على امر لعل في جميع احوال الفلك وهو في الفلك عندهم غير لاجل الان
 المحقق في راعه ويطالعون النفس ايضا على المراجع انما في الحيوانات ويقولون له
 النفس الحيوانية ثم وكل على رعاها عبد الله بن عثمان بن موسى بن يحيى
 كان الله لهم واو كن بهم بمحمد
 في رابع شهر محرم الحرام
 سنة ثمان وثمانين
 ومائة والف
 م

صورة الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة أسعد أفندي، المرموز لها
 بحرف (س).



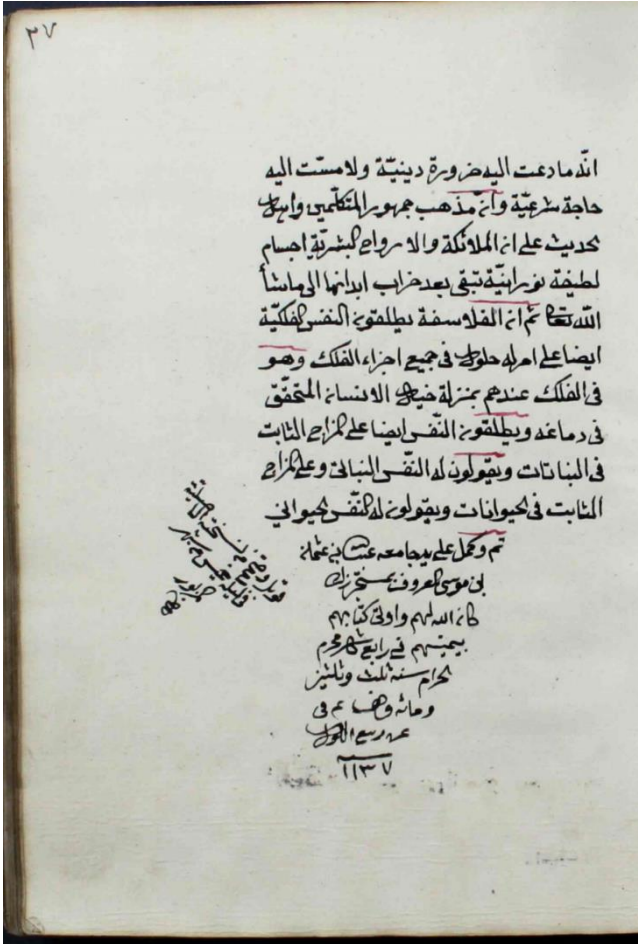
صورة الصفحة الأولى من نسخة مكتبة عاطف أفندي، المرموز لها بحرف (ع).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سبحان من جعل للإنسان نفساً أقسم عليها فقل
 تع سنانة ونفسى وما سواها فاللهما فجورها
 وتقواها وحكم بالفلاح حكم الكيد المني زكيتها وبا
 الحجة والخبرة خسرانا عتيذا لمن رسيها وعلى
 الأرواح لطيفة والأنفى لقد سيرة من الصلوات
 أنجها ومن التلما أزيها خضصها على م أوفت
 الكتب أجديها ومن الكمالات اسناها وأعلها
 وعلى آله وأصحابه الذين اختاروا من السبل إرديها
 ومن المسالك أجليها **وبعد** فإن لفظ النفس لما
 كان مستعملاً في كلام الله تعالى وكلام رسوله في
 معاني مختلفة ومدلولات متفاوتة ومفهومات
 متغايرة مع أن هذا اللفظ كثير الورد والتداول
 أردت أن أذكر كل واحد من تلك المعاني منفرداً
 بأمثلة الواقعة في كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى
 الله عليه وسلم حسب ما ظفرت به وظننته مثالا
 لما مثلته فإن المقصد خطائى والمطلب ظنى

والصام

صورة الصفحة الثانية من نسخة مكتبة عاطف أفندي، المرموز لها

بحرف (ع).



صورة الصفحة الأخيرة من نسخة مكتبة عاطف أفندي، المرموز لها

بحرف (ع).

الفصل الثاني: تحليل نص المخطوط:

- أولاً: بين يدي تحليل نص المخطوط.
- ثانياً: الألفاظ المفتاحية عند المؤلف.
- ثالثاً: مركز دلالات النص.
- رابعاً: تفكيك نص المخطوط.
- خامساً: التحليل النقدي للنص.
- سادساً: إعادة تركيب النص.
- سابعاً: الموقف من المؤلف.

أولاً: بين يدي تحليل نص المخطوط:

المخطوط التراثي بحاجة إلى العناية بنصه، وإخراجه كما هو،
ودراسته بكل وجه ممكن؛ للاستفادة القصوى من النص داخل
علومنا اليوم.

والمشتغلون بالعلوم النفسية اليوم، في أوساطنا الثقافية،
بحاجة إلى تقريب مثل هذه النصوص، التي تصل حاضرننا بـماضيـنا
القريب والبعيد، وتجدد الثقة بموروثنا عبر القرون المتتابة؛ كل
ذلك يتأتى من خلال دراسة النص التراثي، واستعمال كافة
الأدوات الممكنة للاقترب أكثر من تفاصيل النص، والكشف عن
كافة تضاريسه الداخلية والخارجية، وتقديم قراءة نقدية تعين
الباحث على مزيد القرب منه؛ ليعرف من أي زاوية يحسن أن
يستفيد منه، وأن يبني عليه؛ لأن لكل زمن أسئلته التي تستدعي
اجتهادا خاصا.

والنصوص المتصلة «بأصل الذات»، نصوص الوحي، تستدعي مزيد عناية ومزيد استفادة في كافة العلوم المتصلة بها.

ولهذا، فإن هذا النص بالغ الأهمية؛ لأنه يسهم في تجسير الصلة بين العلوم النفسية بعمومها ونصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، وتلك مهمة يحسن بالمشتغلين بالعلوم النفسية أن يهتموا بها، يأخذوا بأسبابها، مستنطقين أضابير التراث، ومسائلين نصوصه، مطبوعها ومخطوطها؛ لأن الاكتفاء بمصادر العلوم النفسية المترجمة وحدها لا يعطينا قوة ذاتية؛ لحاجتنا الملحة لما يصلنا بذاتنا المرجعية، شأننا في ذلك شأن كافة الأمم وسائر الثقافات.

فلا بد من التعرف على مقدراتنا التراثية أولاً، ثم يأتي الاطلاع على إنتاج الثقافات الأخرى ثانياً؛ إذ تلك المرحلة هي ما يمكننا من معرفة احتياجاتنا من الآخر ما هو؟ وأي مقدار نحتاج؟ وعلى أي كيفية نأخذه!

ثانيًا: الألفاظ المفتاحية عند المؤلف:

تتلخص الألفاظ المفتاحية في هذا المخطوط في الألفاظ الآتية:

١. ذات الله تعالى:

واستدل له المؤلف بمواضع، منها: قوله -تعالى-: ﴿وَأَصْطَغَتْكَ لِنَفْسِي﴾ [طه]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]. وفي الحديث القدسي الوارد في الصحيح: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته محرما بينكم؛ فلا تظالموا»^(١).

٢. الروح الإنسانية:

ويقصد بالروح الإنسانية: «الجسم اللطيف الحال في البدن» عند جمهور المتكلمين وأهل الحديث، قال الله -تعالى-: ﴿يَتَأَيَّنَهَا

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾
وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴿الفجر﴾.

وفي غير واحد من الأحاديث: «وهو وجود بنفسه»^(١)؛ يعني المحتضر. وفي غير واحد من الأحاديث: «والذي نفسي بيده»^(٢).

٣. باطن الإنسان:

باطن الإنسان، مثل: الصدر و القلب، وما يشاكلهما من المدارك، قال الله - تعالى -: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، ﴿يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(١) رواه البخاري (١٣٠٣).

(٢) منها: قوله - صلى الله عليه وسلم -: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى

أكون أحب إليه من والده وولده». رواه البخاري (١٤).

٤. البدن:

بمعنى: هذا الهيكل المحسوس، قال - تعالى -: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

٥. الروح مع البدن:

واستدل لذلك بقوله - تعالى -: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ٧ ﴿فَأَلَّهَمَّهَا هُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ ٩ ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ ١٠ ﴿[الشمس]﴾، ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٦. أمر موجود في البدن مجبول على الشر:

ويقصد المؤلف بالأمر الموجود في بدن الإنسان: أنه أمر جبل على الشر والفساد، وتحريض صاحبه وإغرائه على القبائح والفضائح، وتثييطه عن الأعمال الصالحة، وهو المذموم من بين ما صدق عليه النفس، وهو الذي أمر العباد أن يتخذوه عدواً،

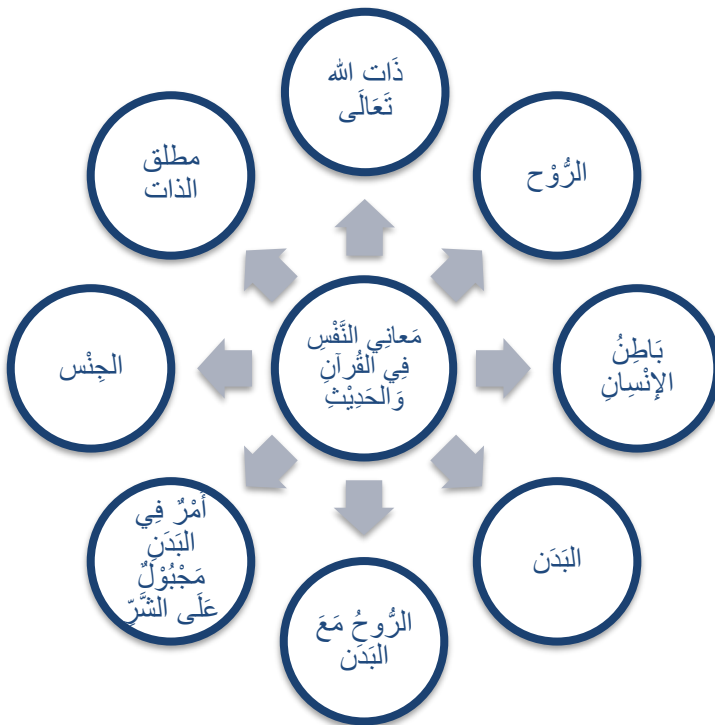
ويجاهدوه مجاهدة الأعداء الظاهرة بلا شك. حتى يقال له: «الجهاد الأكبر»، وأمروا أن يخالفوه مخالفة أكيدة؛ حتى أن تشرف الإنسان بتشرف الزلفة والكرامة عند الله -تعالى- بمخالفته إياه، وعدم مساعده إلى ما تدعوه. قال -تعالى- حكاية عن يوسف -عليه السلام-: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، ﴿قَالَ بَلَّ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، ﴿فَلَا تُلْوَموُنِي وَلَوْ مُوَأْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦].

٧. مطلق الذات:

وهو مطلق الذات من المخلوق، إنسانا كان أو ملكا أو جنًا، أو حيوانًا كان أو جمادًا، قال الله -تعالى-: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]، ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

٨. الجنس:

ويعني به النوع و جنس الإنسان، قال الله -تعالى-: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]؛ أي: من جنسكم، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الزُّمَر: ٦].



شكل يلخص الألفاظ المفتاحية لدى المؤلف في رسالته وهي (معاني النفس في القرآن والحديث) عند المؤلف

ثالثاً: مركز دلالات النص:

المعنى المركزي للرسالة من أهم القضايا الجديرة بالبيان؛ للتعرف على الغرض الرئيس الذي أراد المؤلف أن يبينه للقارئ من خلال هذا النص، ولهذا يقصد بمركز دلالات النص: (فكرة المؤلف، أو الأطروحة العامة، أو المعنى المركزي للرسالة). ويرى الباحث أن المعنى المركزي في الرسالة، الذي ركز عليه المؤلف، يدور حول ثلاث أفكار:

- ١- كون المسألة التي تعرض لها في الرسالة اجتهادية ظنية، وليست من قطعيات الدين؛ فالخلاف فيها مقبول مستساغ، (والمقام إقناعي من قبيل ما يصح أن يكتفى فيه بالظنون والتخمينات، لا قطعي يطلب فيه الجزم واليقين)، وهو بمثابة المقدمة التمهيدية لما سيقدمه للقارئ من خلال هذا النص.
- ٢- الجانب الرئيس: وهو أن لفظ النفس في القرآن والحديث جاء على معان، جمعها في ثمانية معان، وساق لها شواهدا من القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم أتبعها بإطلاقات العرب للفظ النفس، وهو بمثابة الاستقراء الذي عرض به

اجتهاده في المجال؛ فهو قد قدم بأن المجال يسوغ فيه
الاجتهاد والاختلاف، فقدم أطورحته ورأيه في أن النفس
جاءت في الوحي على ثمانية معان فحسب.

٣- الانتصار لتلك الأوجه التي وردت بها النفس، ضدًا على ما
ذهب إليه الفلاسفة في قولهم في النفس، وهو بهذا ينفي صحة
قول الفلاسفة في النفس، ويرده جملة وتفصيلاً؛ لأنه يعتبره
هادمًا لحقائق الدين مخالفًا لها.

رابعاً: تفكيك نص المخطوط:

لأجل التعرف على تضاريس النص يحسن الاشتغال بتفكيكه إلى وحدات مصغرة؛ حتى يمكننا تفحص كل قطعة منه على حدة؛ وبهذا يمكن التعرف على كافة معاني النص وأدبياته واتجاهاته، ونقوم بتفكيك نص المخطوط من خلال البنية الحجاجية للنص (ما يثبته النص، وما ينفيه).

تدور البنية الحجاجية في نص الرسالة حول ما يثبته النص وما ينفيه؛ فهما إذا جانبان:

الجانب الأول: ما يثبته النص:

١- يثبت النص أن لفظ النفس في القرآن الكريم والحديث الشريف ورد لعدد ثمانية معان فقط، هي: (ذات الله تعالى، الروح، باطن الإنسان، البدن، الروح مع البدن، أمر موجود في البدن مجبول على الشر، مطلق الذات، الجنس).

٢- ويثبت النص أن هذا الذي جاءت به النصوص من المعاني هو الحق، وما عداه إخراج للنصوص الشريفة عن ظاهرها

بتكلفات تأبأها الطباع السليمة، وتعسفات تنبو عنها القرائح المستقيمة.

٣- يثبت النص أن نفس الإنسان تحل في بدنه، وليست تجريداً غير متحيز، كما تزعم الفلاسفة.

٤- ويثبت أن الدعوى التي تحمل الناس على تأويل النصوص هي الرغبة في التوفيق بين الآيات والأحاديث وكلام الفلاسفة وقواعدهم، والتي أكثرها يناقض الإسلام.

الجانب الثاني: ما ينفيه النص:

١- ينفي المؤلف أن تخرج معاني النفس في القرآن والحديث عن هذه المعاني الثمانية، التي حصرها وأورد عليها الآيات والأحاديث النبوية الكثيرة.

٢- وينفي المؤلف قول الفلاسفة «النفس الفلكية»، وهو خيال الإنسان المتحقق في دماغه^(١).

(١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، مكتبة لبنان - ناشرون، ١٩٩٦

٣- وينفي - كذلك - قول الفلاسفة أن النفس هي المزاج الثابت في النباتات والحيوانات؛ لذا يقولون: نفس نباتية ونفس حيوانية^(١).

٤- وينفي المؤلف قواعد الفلاسفة بالجملة في فهم النفس الإنسانية، باعتبار أن أكثرها تناقض قواعد الإسلام، ولا تعدو كونها من هواهم الدّين، وأنها مجرد هفوات بشرية، فلا يعتمد عليها في فهم النفس ومعانيها.

خامساً: التحليل النقدي:

ونقصد بالتحليل النقدي لنص المخطوط مناقشة أدلة المؤلف (الداخلية، والخارجية):

الأدلة الداخلية للمؤلف:

عمد المؤلف -رحمه الله تعالى- إلى الاستدلال بنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف على المعاني الثمانية التي أوردها كحصر لمعاني النفس فيهما.

(١) انظر: آراء المدينة أهل المدينة الفاضلة للفارابي، دار المشرق ١٩٧٣، (ص ٤٨).

الأدلة الخارجية للمؤلف:

استعمل المؤلف أدلة خارجية من بعدين:

البعد الأول: الاستدلال بالاستعمال اللغوي؛ باعتبار أن

القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين؛ فتلك المعاني الثمانية لها أصلها في الاستعمال العربي في الأصل.

البعد الثاني: الاستدلال بالمنطق العقلي؛ حيث إن له إشارة

بأن خالق النفس وموجدها هو الأعرف بها؛ ولهذا فمعاني النفس الثمانية في القرآن والحديث هي المعاني الصحيحة في مقابل تفسيرات الفلاسفة وقواعدهم التي غالبها يخالف قواعد الإسلام.

سادسًا: إعادة تركيب النص بعد التفكير والتحليل:

ونعني به إعادة عرض الرسالة.

ويمكن للباحث إعادة تركيب الرسالة كلها بعد تفكيكها على

هذا النحو:

وأقصد هنا اقتراح بنية جديدة لذات النص من خلال المحاور

الآتية:

- إحصاء عام لحجم ورود كلمة «نفس» بكافة صيغها في القرآن الكريم والحديث الشريف.
- بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ «نفس»، من خلال المعاجم اللغوية والاصطلاحية.
- تقديم دراسة عن المعاني الثمانية التي وردت بها النفس في القرآن الكريم والحديث الشريف.
- تلخيص المعنى المركزي، والتعريف الصحيح للنفس، من خلال كافة النصوص والصيغ التي ورد بها في القرآن الكريم والحديث الشريف.
- سرد تعريفات النفس لدى الفلاسفة، والرد عليها.

سابعًا: الموقف من المؤلف:

ويتضمن الموقف العام من المؤلف تلخيص النقد لأطروحة نص المخطوط، وأدلته وأساليبه في الاستدلال، والموقف من النتائج التي خلص إليها، ووضع قائمة بمقترحات أخرى مكملة لفكرة أطروحة المؤلف، من خلال محاور:

المحور الأول: نقد الأطروحة:

قام المؤلف بجهد مشكور في محاور هذه الرسالة؛ فهي -على وجازتها- استطاعت أن تمر بإطلالة شاملة على معاني النفس في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهو إسهام علمي مهم.

غير أن ما يمكن أن يستدرك على المؤلف ما يأتي:

أولاً: حصره معاني النفس التي جاءت في القرآن الكريم والحديث بهذه المعاني الثمانية متعقب؛ وهذا مما يمكن الاستدراك فيه على المؤلف -رحمه الله تعالى-؛ فمن المعاني التي يذكرها المفسرون للنفس، غير المعاني الثمانية التي ذكرها، الآتي:

١- النفس بمعنى (العقل): قال الطاهر بن عاشور: «والنفس تطلق على العقل»^(١).

٢- النفس بمعنى: (آدم - عليه السلام -): قال ابن الجوزي في "زاد المسير": "والنفس الواحدة: آدم"^(٢).

٣- النفس بمعنى: (الأخ)^(٣)، قال ابن خالويه: «والنفس الأخ، قال - تعالى -: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، أي: إخوانكم»^(٤).

ذلك مثال لما يمكن استدراكه على المؤلف في حصره معاني النفس في القرآن والحديث بثمانية معانٍ^(٥).

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١١٥).

(٢) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٦٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) لسان العرب (٦/ ٢٣٤).

(٥) أما في اللغة، فالمعاني أوسع بكثير مما ذكره المؤلف؛ إذ من العلماء من أوصل معاني النفس في اللغة إلى: خمسة عشر معنى، منها ما ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: ابن الأعرابي قال: النفس: العظمة والكبر. والنفس: العزة. والنفس: الهمة. والنفس: الأنفة. والنفس: عين الشيء، وكنهه وجوهره. والنفس: العين التي تصيب المعين. والنفس: الدم. والنفس: قدر دبة. والنفس: الماء. والنفس: العند. والنفس: الروح، والنفس:

وقلت (يستدرك) على المؤلف، مع أنه اعتذر في بداية رسالته أنه لم يقصد الاستيعاب، بل التمثيل لتلك المعاني، ولذلك فإن ما ذكر إنما هو استدراك لتتميم الفائدة.

ثانيًا: حجم ما أورده من الآيات والأحاديث:

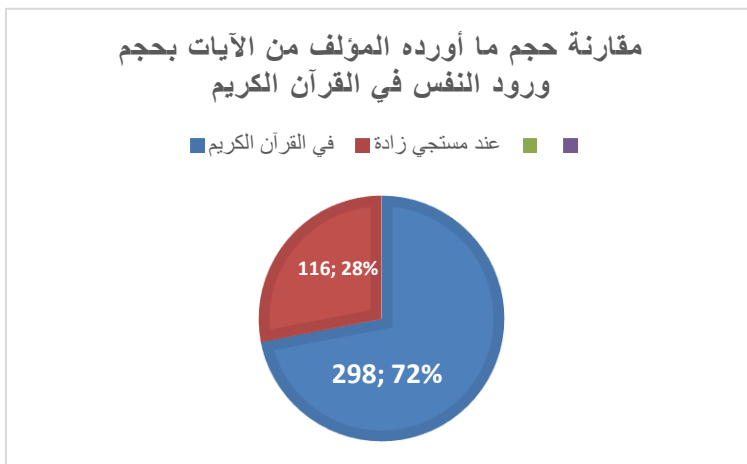
آيات النفس التي لم ترد في الرسالة كثيرة، وعدد من الأحاديث - كذلك -، ويوضح حجم ما ورد في الرسالة الجدول الآتي:

عدد الأحاديث	عدد الآيات	المعنى
١	٥	الأول
٤	٤	الثاني
-	٢٤	الثالث
٢	٢٣	الرابع
١	٣٦	الخامس

الفرج. ويقال نفست عليه الشيء أنفسه نفاسة: إذا ضننت به. والنفس: الشق. ونفس عليك إذا حسدك. ونفست المرأة نفاسا. انظر: تهذيب اللغة (١٣/٨).

عدد الأحاديث	عدد الآيات	المعنى
٥	٨	السادس
—	١١	السابع
—	٥	الثامن
١٣ حديثاً	١١٦ آية	المجموع

فإذا كان مجموع ما جاء في الرسالة من الآيات: ١١٦ آية، وعدد مواضع ورود النفس في القرآن الكريم ٢٩٨ موضعاً؛ فهذا يعني أنَّ ما أورده المؤلف من آيات يمثل ٢٨٪ فقط من حجم ورود النفس في القرآن الكريم، ويوضح نسبة ذلك الشكل الآتي:



ثالثاً: لم يتعرض المؤلف للمعنى المحوري والجوهري الذي يجمع المعاني الثمانية؛ فتعدد المعاني لا ينفي وجود معنى مركزي للنفس، مع أن المؤلف لم يقصد إلا حصر المعاني والتمثيل لها، لكننا نورد هذا المعنى تكميلاً للفائدة -أيضاً- فنقول:

يمكننا أن نقترح معنى محورياً لمعاني النفس في القرآن الكريم والحديث الشريف التي ذكرها المؤلف .. وذلك من خلال دراسة نصل بها لمعنى تعرف به النفس، ونبين كيف أنه يجمع كافة تلك المعاني:

أ- النفس في اللغة العربية:

اختلف العلماء في مدار لفظ النفس في اللغة العربية على مذاهب:

المذهب الأول: أن مدار لفظ النفس على أصلين: الأول (الروح)، والثاني (حقيقة الشيء)، وهو مذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١)، والإمام الأزهري^(٢).

(١) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (٧/ ٢٧١).

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري (٤/ ٢٩٩).

المذهب الثاني: أن مدار لفظ النفس على أصل واحد، وهو (خروج النسيم)، وهو مذهب ابن فارس حين قال: «النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من ريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه»^(١).

بهذا يرجع ابن فارس كل فروع النفس لأصل واحد.. والذي يظهر أن المعنيين اللذين ذهب إليهما الخليل والأزهري يمكن ردهما لمعنى واحد؛ إذ حقيقة النفس هي تلك النسمة.

فيكون تعريف النفس في اللغة هو: «النسمة التي عليها مدار حقيقة الإنسان». والمقصود بهذا التعريف أن النفس هي الحقيقة واللب الذي يخدمه الجسد، وتخدمه الروح؛ لكون النفس الحقيقة المحورية للآدمي.

ب- النفس في القرآن والحديث:

عند استعراض كلام علماء مفردات القرآن الكريم نجدهم يعرفون النفس في القرآن الكريم بما يأتي:

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣٦٩/٥).

يرى الراغب الأصفهاني أن النفس هي الروح؛ لهذا استهل بيانه للفظ النفس في القرآن بقوله: «والنفس هي الروح في قوله - تعالى-: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وقوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وقوله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، وقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨، ٣٠]».

لكن محمد حسن جبل، في معجمه، يرى أن: النفس: لطيف يسري في فتوق أثناء الشيء فيصلحه، ويتيح له التصرف. كالنفس في أثناء بدن الحي فهو علامة على حياته، وكذلك الدم ... سميت النفس نفساً لتولد النفس منها... وكذلك سمي الدم نفساً؛ لأن النفس تخرج بخروجه^(١).

ويقول المصطفوي: والتحقيق أن الأصل الواحد في المادة: هو تشخص من جهة ذات الشيء، أي ترفع في شيء من حيث هو، والتشخص هو الترفع ... وإطلاق النفس على الروح: إنما هو

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/ ٢٢٣٧).

اصطلاح حادث فلسفي. ومن مصاديقه: شخص الإنسان من حيث معنويته وروحه، أو من حيث بدنه وظاهره، أو من جهة ما به من قوام الإنسان وتشخصه، كالدّم الجاري في بدنه، وبه دوام حياته... فالنفس باعتبار البدن والروح مركبًا... إن استعمال كلمة النفس في القرآن الكريم إنما هو بمعنى المتشخص المتعين، ولم تستعمل بمعنى الروح^(١).

ويمكن القول بأن مفهوم النفس في القرآن الكريم والحديث الشريف هو: (النسمة اللطيفة التي عليها مدار حقيقة الإنسان، المكونة لذاته مع جسده وروحه، وهي العاقلة المخاطبة المكلفة، وعليها يقع الجزاء والحساب).

شرح التعريف:

(النسمة اللطيفة):

النفس نسمة لطيفة، كمادتها اللفظية (النفس)، بفتح الفاء، وهو المعنى الحسي الأولي الذي اشتق منه اسم هذه اللطيفة في

(١) التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي (١٢ / ٢٢١).

اللسان العربي، واستخدمها القرآن الكريم والحديث الشريف بذات المعنى.

(التي عليها مدار حقيقة الإنسان):

النفس كائن حال في قلب الإنسان، عليه تدور حقيقته؛ لأن الجسد وعاء له يتحرك بها، والروح لطيفة ربانية مسؤولة عن الحياة؛ فلهذا أصبحت النفس عليها مدار حقيقة الإنسان، على حد قول الشاعر:

أقبل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

(المكونة لذاته مع جسده وروحه):

ذات الإنسان مكونة من ثلاثة مكونات، الرئيس منها هو النفس، والجسد الوعاء، والروح المسؤولة عن حياة النفس المحركة للبدن، ولهذا كان خلق النفس وتركيبها في البدن سابقا لنفخ الروح - كما سيأتي بيانه.

(وهي العاقلة المخاطبة المكلفة):

كافة نصوص الوحي تتجه في خطابها للنفس؛ لأنها العاقلة؛ إذ التكليف مناطه العقل، وهي المسؤولة عن الاستجابة لأمر الله تعالى، فهي المحركة للبدن بذلك الأمر.

(وعليها يقع الجزاء والحساب):

من كان عليه التكليف كان مآله أن يجازى بالحسنى إن أحسن، أو يعاقب إن أساء، وهذا ما حصل في النفس، ولهذا كان معظم حديث القرآن عنها يكشف عن مآلها في الاستجابة للأمر بالجزاء الحسن، أو المعاقبة عند التخلف عن ذلك.

إثبات أن هذا المعنى يجمع كافة المعاني التي ذكرها المؤلف:

المعنى الأول: ذات الله - تعالى - : قوله - تعالى - :

﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه].

التوجيه: النفس للإنسان تلك النسمة اللطيفة، والنسبة لله -

تعالى- هي ذاته - سبحانه-، نبتها له كما أثبتتها لنفسه، بغير تكليف ولا تحريف.

المعنى الثاني: الروح الإنسانية: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧)
 أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ [الفجر].

التوجيه: النفس والروح يشتركان في كونهما "الطيفة"، غير أن
 اشتراك شيئين في بعض الصفات والخصائص لا يعني أنهما شيء
 واحد؛ وإن سوَّغ هذا الاشتراك أن يعبر بأحدهما عن الآخر أحياناً؛
 لكن يبقى للنفس حقيقة وللروح حقيقة أخرى.

المعنى الثالث: باطن الإنسان، مثل: الصدر والقلب وما
 يشاكلهما من المدارك، قال الله - تعالى - : ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي
 أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

التوجيه: باطن الإنسان هو محل ووعاء للنفس، أعني الصدر
 والقلب اللذين عناهم المؤلف.

المعنى الرابع: البدن: بمعنى هذا الهيكل المحسوس، قال
 تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:
 ١٤٥].

التوجيه: النفس لأنها مدار حقيقة الإنسان يسمى الإنسان بها؛ لأنها حقيقته وأهم ما فيه.

المعنى الخامس: الروح مع البدن: واستدل لذلك بقوله - تعالى -
 -: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۖ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۖ ﴿١٠﴾﴾ [الشمس].

التوجيه: الروح لها حقيقة مستقلة، والبدن كذلك، والنفس كذلك، فاتصال الروح بالبدن لا ينتج النفس، بل النفس لطيفة لها ذات مستقلة عن الروح والبدن.

المعنى السادس: أمر موجود في البدن مجبول على الشر، قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

التوجيه: النفس نسمة لطيفة موجودة في البدن، ولأنها المكلفة جاء النص بتزكيتها واستصلاحها، وبالتالي مجازاتها في الآخرة.

المعنى السابع: مطلق الذات: قال الله - تعالى - : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].

التوجيه: بما أن تلك النسمة اللطيفة هي الحقيقة التي عليها مدار الإنسان؛ صح التعبير بها عن ذات الإنسان كله.

المعنى الثامن: الجنس، ويعني به النوع وجنس الإنسان، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

التوجيه: كما ذكر في التوجيه السابق له.

وهذا نجد أن المعاني تأتلف؛ إذ تعود جميعها إلى معنى واحد - والله أعلم.

المحور الثاني: الأدلة وأساليب الاستدلال:

- ١- أدلة المؤلف مع جمالها إلا أنه واضح كونه يسجلها من حفظه؛ فحصلت له بعض الهفوات اليسيرة في كتابة الآيات.
- وحصلت له هفوات في ترك بعض الآيات التي تسند فكرته والمعنى الذي ذكره. وكذلك بالنسبة للأحاديث، وقد نبهت على ذلك في مواضعه.
- ٢- انتهج المؤلف أسلوباً علمياً؛ حيث يذكر المعنى الذي يرى أن الوضع اللغوي والاستعمال القرآني والحديثي يحمله؛ ولهذا لم يغرب المؤلف في المعاني التي ذكرها.

المحور الثالث: النتائج التي توصل إليها:

يمكننا أن نقول الآتي حول النتائج التي توصل إليها المؤلف:

أولاً: التزم المؤلف بشرطه في بيان معاني النفس في القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم من وجهة نظره، وقد نجح في ابتكار مادة رائعة حول النفس للباحثين في العلوم النفسية والدراسات القرآنية والمشتغلين بالتفسير الموضوعي على وجه الخصوص.

ثانياً: كانت الفرصة مواتية للمؤلف أن يقدم ماهو أكبر من تعداد معاني ورود النفس في القرآن الكريم وأمثلتها، فهو عالم بالبلغة العربية وبعلم القرآن الكريم بل وعموم علوم الشريعة والعقائد، فكان قادراً على بيان المسائل المتعلقة ببحث النفس في القرآن والحديث، وكان قادراً على تتبع مسالك الفلاسفة ونقضها مسلماً مسكلاً.

ولعل شرطه في مطلع رسالته هو الذي منعه من فعل ذلك حيث أراد تقريب معاني النفس للمبتدئين من طلاب العلم -والله أعلم-

المحور الرابع: مقترحات بديلة إن وجدت:

١ - بدأ المؤلف رسالته بالحديث عن اللغة العربية، غير أنه لم يناقش مفهوم وتعريف النفس في اللغة العربية قبل الشروع في معانيها في القرآن الكريم.

٢ - لم يناقش المؤلف القضايا الكثيرة المتعلقة بالآيات والأحاديث التي تناولت النفس الإنسانية، وتتميمًا للفائدة نكتفي هنا بالتمثيل لقضيتين، واحدة قليلة التداول في الدراسات التي تتناول موضوع النفس، والأخرى مشتهرة.

القضية الأولى: هل تزكية النفس مقصد شرعي؟

للجواب عن هذا السؤال يمكننا القول بأن علماء المقاصد تحدثوا عن النفس من جهة الحفظ كثيرًا، لكن عز حديثهم في جعل إصلاحها وتزكيتها وإصلاح عيوبها مقصدًا شرعيًا، إلا في إشارات

لدى بعضهم مثل: الطاهر بن عاشور^(١) محمد رشيد رضا^(٢) الدكتور عبد المجيد النجار^(٣)، والدكتور عبد الكريم حامدي^(٤).

ومن الأدلة الظاهرة على أن تزكية النفس وإصلاحها مقصد شرعي جملة من الآيات، أخذ بعضها برقاب بعض، وهي:

- أولها أول آية ورد فيها لفظ النفس حسب ترتيب النزول، وهي سورة الشمس؛ حيث قال الله - تعالى -: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ٤ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ٥ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا ٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ

(١) انظر إشارة له في مقاصد الشريعة، بتحقيق الحبيب الخواجه (٢/ ٤٨٨)، وانظر:

التحرير والتنوير، الدار التونسية، ١٩٨٤ (٢/ ١٢٨).

(٢) انظر: تفسير المنار، لمحمد رضى رضا، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٠

(٢٠/ ١١).

(٣) انظر: مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، لعبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي،

٢٠٠٨ (ص ١٢٢-١٢٣).

(٤) انظر: مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، لعبد الكريم حامدي، دار ابن حزم،

٢٠٠٨، (ص ١٤٩-٢٠٧).

دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس]؛ فأقسم الله - تعالى - أحد عشر قسمًا على أن الفلاح لمن زكى النفس، وكأن الآيات لم تكتف بذلك، بل جعلت خلاصة رسالات الأنبياء هي تزكية النفس، فقال الله - تعالى - : ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال - تعالى - في التزكية أيضًا: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال - تعالى - في التزكية رابطًا لها بالفلاح في موضع آخر: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى]، بل وصرحت الآيات بأن الجنة ونعيمها هو جزاء الله تعالى لمن تزكى فقال - تعالى - : ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه].

- وبهذا لا بد من التعرف على ماهية التزكية، وكيف تكون للنفس، ويمكن تلخيص ذلك في الآتي:

ما هي تزكية النفس؟

الفعل زكى: قال ابن فارس^(١): الزاء والكاف والحرف المعتل أصل يدل على نماء وزيادة. ويقال الطهارة زكاة المال. قال بعضهم: سميت بذلك لأنها مما يرجى به زكاء المال، وهو زيادته ونماؤه. وقال بعضهم: سميت زكاة لأنها طهارة. قالوا: وحجة ذلك قوله - جل ثناؤه -: ﴿حُذِّمْنَ أَمْوَالُهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. والأصل في ذلك كله راجع إلى هذين المعنيين، وهما: النماء والطهارة.

فالزكاة في أصل اللغة تحمل معنيين، هما بمثابة العمليات المتتابة، (طهارة، ثم نماء)، وهو المعبر عنه عند أهل السلوك بالتخلية التي تقابل الطهارة، والتخلية التي تقابل النماء والزيادة. وينحو الراغب نحو جعل معنى الزكاة: معنى واحدًا هو النماء والزيادة، ثم أشار إلى معنى الطهارة في حق النفس كمعنى للزكاة بعد ذلك، فقال في المفردات: "تزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات ... وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (٣/ ١٧).

بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والمثوبة^(١).

وامتنع المصطفوي عن إطلاق المعنيين على التزكية، وقصرها على تنحية ما يلزم تنحيته وإخراجه، والمعنيان اللذان ذكرهما ابن فارس والراغب جعلهما من لوازم معنى التزكية لا من معناها الأصلي^(٢).

ويرى الباحث أن القول الذي يجمع كل ذلك هو جعل معنى التزكية شاملاً لكافة تلك المعاني، فنقول في تعريفها:

تزكية النفس: تطهير النفس بتنحية ما تدم ببقائه فيها، وإكسابها ما تنمو به وتزيد رتبته.

وهذا تجتمع الأقوال وتأنف، والله أعلم.

(١) المفردات للراغب (ص: ٣٨١)

(٢) التحقيق في كلمات القرآن للمصطفوي (٤/ ٣٥٥).

القضية الثانية: هل النفس هي الروح؟

ربما لاحظ القارئ مما سبق اتجاه الحديث نحو التفريق بين النفس والروح، وأن لكل منهما حقيقة غير الآخر.

والمسألة - كما قال ابن القيم - تكلم فيها الناس من سائر الطوائف، واضطربت فيها أقوالهم^(١).

وإن كان ابن القيم نفسه وشيخ الإسلام ابن تيمية سارا نحو قول الجماهير، وهو الذي ذهب إليه أبو محمد بن حزم من قبلهم، فقال ابن القيم: "والنفس والروح اسمان مترادفان بمعنى واحد"^(٢).

والذي يشكل على هذا: أن النفس جاءت في القرآن الكريم ٢٩٨ مرة، في الوقت الذي لم يرد لفظ الروح إلا في عدد قليل من الآيات، زهاء ٢٣ موضعاً، مع إغلاق البحث في وجه سؤال اليهود: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء ٨٥] كل ذلك يوحى بالفارق بينهما.

(١) الروح لابن القيم، تحقيق: أجمل الإصلاحي (ص ٥١١).

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٣/ ٢١٤).

و«إن إظهار أمر النفس واضحًا، في مقابل إخفاء الروح إخفاء قويًا، يدل دلالة باهرة على اختلاف الماهيتين اختلافًا شاسعًا. والشيء الواحد لا يمكن أن يكون ظاهرًا معلومًا وخفيًا مجهولًا في الوقت ذاته»^(١).

و أول من نقل عنه التفريق بين النفس والروح من الرعيل الأول: ابن عباس -رضي الله عنه - حيث أثر عنه قوله: «في ابن آدم نفس وروح، بينهما مثل شعاع الشمس؛ فالنفس التي بها العقل والتميز، والروح التي بها النفس والحركة»^(٢).

ونسب ابن القيم نفسه القول بالتفريق بين النفس والروح إلى المحدثين والفقهاء فقال: «وقالت فرقة أخرى من أهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس. قال مقاتل بن سليمان للإنسان حياة وروح ونفس فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الأشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس

(١) ماهية النفس، أحمد كرار الشنقيطي، رسالة غير منشورة (ص ٢٣).

(٢) تخريج أحاديث الكشف (٣/ ٢٠٥)، زاد المسير لابن الجوزي (٥/ ٢٦٩)، فتح

القدير للشوكاني (٦/ ٢٩١).

التي خرجت منه وتبقى الحياة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس»^(١).

وفي موضع آخر نسب التفريق بين النفس والروح إلى أهل الأثر فقال: «وقالت طائفة وهم أهل الأثر أن الروح غير النفس والنفس غير الروح»^(٢).

والقول بالترادف بين اللفظين يرده أن الترادف محل خلاف في اللغة، وفي القرآن الكريم الخلاف أشد، بل قال ابن تيمية: «الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن»^(٣).

(١) الروح لابن القيم، تحقيق: أجمل الإصلاحي (ص ٦١٧). ونسبة القول بالتفريق بين النفس والروح لأهل الحديث والأثر تنسب لابن حبيب، ولابن مندة في كتابه النفس والروح ونقلها عنهما غير واحد من المفسرين منهم الألوسي في روح المعاني (٨/ ١٥٠).

(٢) المصدر السابق.

(٣) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية (ص ١٧).

ويرى أحمد كرار أن سبب القول بالترادف بين اللفظين هو اشتراك الاسمين في بعض الصفات: فالنفس والروح لطيفتان غيبتان، فاتخذ هذا الاشتراك في الخصائص ذريعة للقول بترادفهما، وهو مردود بأن مجرد الاشتراك في الصفات لا يجعلهما شيئاً واحداً^(١).

ويزيد الأمر وضوحاً مسألة مراحل الخلق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الأعراف: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا﴾ [٧]، [الشمس] فجاءت محصلة مراحل الخلق في الآية الأولى:

١- الخلق

٢- التصوير

٣- سجود الملائكة

وفي الآية الثانية:

١- التسوية

(١) انظر: ماهية النفس، أحمد كرار الشنقيطي، رسالة غير منشورة (ص ٢٧).

٢- نفخ الروح

٣- سجود الملائكة

وجاءت الآية الثالثة بمرحلة واحدة هي:

١- التسوية

فالتسوية كما في آية (سورة الشمس) كانت للنفس و(التسوية) تمام (الخلق)، وبهذا تجيء المفردتين مشكلتان المرحلة الأولى من الخلق.

وبعدها تجيء المرحلة الثانية وهي مرحلة تصوير البدن (صورناكم) وهي مرحلة صورة الجسد فالآية رتبت بينهما بـ(ثم).
وبعدها تجيء المرحلة الثالثة وهي مرحلة (نفخ الروح)، والتي تلتها المرحلة الرابعة وهي مرحلة (سجود الملائكة).

وابن القيم نقل عن محمد بن نصر المروزي والامام ابن حزم بل ويحكى فيه ابن حزم الاجماع أن خلق البدن كان متأخراً عن

خلق (الروح/ النفس)^(١). ونقل عن الفقهاء أن سبب مصيرهم
 للقول بتأخر خلق البدن هو الترتيب الصريح في الآية بـ(ثم)^(٢).
 والمحصل الذي نريد استنتاجه هو التفريق بين النفس والروح
 إذ مراحل خلقهما مختلفة ومتفاوتة^(٣). والله أعلم

(١) وهي النفس حسب القول الذي رجحناه أول المسألة.

(٢) انظر: الروح لابن القيم، تحقيق: أجمل الإصلاحي (ص ٤٥٣).

(٣) انظر: تفصيلاً رائعاً للشيخ أحمد كرار الشنقيطي في رسالته ماهية النفس، رسالة غير

منشورة (ص ٣٢).

الفصل الثالث: نص الرسالة محققاً

- أولاً: بين يدي النص.
- ثانياً: النص محققاً.

أولاً: بين يدي النص:

بدأت أولاً بكتابة نص الرسالة اعتماداً على نسخة مكتبة عارف حكمت، التي اعتبرتها أصلاً، ثم عانيت بتوثيق متن النص وضبطه، اعتماداً على مقابلة النسخة الأصل بنسختي مكتبة أسعد أفندي ونسخة مكتبة عاطف أفندي. كما قمت بخدمة النص في الهوامش وذلك بـ:

- ١ - ذكر نماذج أخرى من الآيات والأحاديث التي مثل بها المؤلف لمعاني النفس.
- ٢ - إصلاح الآيات التي حصل فيها تصحيف.
- ٣ - تخريج الأحاديث من مصادرها.
- ٤ - بيان معاني الأمثال التي أوردها المؤلف.
- ٥ - شرح الألفاظ الغريبة التي أوردها المؤلف.

- ٦- التعريف بالبلدان التي ذكرها المؤلف.
- ٧- التعريف بالكتب التي أوردتها المؤلف.
- ٨- خدمة النص بعلامات الترقيم الإملائية.

ثانيًا: النص محققًا:

رسالة في بيان استعمال لفظ النفس في كتاب الله -تعالى-
وسنة رسوله، جمعتها بالتماس بعض الإخوان؛ لما شاهد
الاختلافات في استعمال هذا اللفظ.
وأنا الفقير إليه - تعالى - : عبد الله بن عثمان بن موسى^(١).

(١) سبقت ترجمته.

والجمع وقع بعد خروجي من سالانيك^(١) قبل شروعي في
حاشية البيضاوي^(٢).

سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف في منزلي بقسطنطينية.

(١) سالانيك مدينة عثمانية قديمًا، وهي اليوم مدينة يونانية تقع على رأس خليج سالونيك أحد تفرعات الخليج الثيرمي، والذي يشكل بدوره الجزء الشمالي الغربي من بحر إيجه، ترتفع المدينة من مستوى سطح البحر تبعد مسافة ٥٠٠ كيلومتر عن أثينا عاصمة البلاد (موقع ويكيبيديا).

(٢) تفسير العلامة البيضاوي، الذي وضع عليه المؤلف حاشية هو لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥)، جمع فيه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللغة العربية، وقد اختصره من الكشف للزمخشري، وتفسير الرازي، وتفسير الراغب الأصفهاني، ووضعت عليه حواشي كثيرة زادت على أكثر من ١٠٠ حاشية، منها: حاشية صاحبنا عبد الله بن عثمان بن موسى.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين^(١).

سبحان من جعل للإنسان نفساً أقسم عليها فقال تعالى شأنه ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا﴾ (٧) ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿[الشمس]﴾^(٢)، وحكم بالفلاح حكماً أكيداً لمن زكيها^(٣)، وبالخيبة والخسران خسراناً عتيداً لمن دسيها، وعلى الأرواح الطيبة والأنفس القدسية من الصلوات^(٤) أنميها، ومن التسليمات أزكيها، خصوصاً على من أوتي من الكتب أجديها^(٥)، ومن الكمالات أسناها وأعلاها، وعلى آله وأصحابه الذين اختاروا من السبل أهداها، ومن المسالك أجلاها.

(١) قوله: (وبه نستعين) لي في نسخة (س، ع).

(٢) هذا الموضع هو أول مواضع ورود لفظ النفس في القرآن الكريم حسب ترتيب نزول القرآن الكريم.

(٣) هكذا في جميع النسخ (زكيها)، وأثبتت كما هي، والياء إشارة للإمالة، وهكذا في (دسيها، وأنميها، وأزكيها، وأجديها).

(٤) في (س): (الصلوة).

(٥) معنى أجديها: أي أجدي وأكثر نفعا.

وبعد، فإن لفظ النفس لما كان مستعملاً في كلام الله تعالى^(١) وكلام رسوله^(٢) في معاني مختلفة، ومدلولات متفاوتة، ومفاهيم متغايرة، مع أن هذا اللفظ كثير الورد والتداول؛ أردت أن أذكر كل واحد من تلك المعاني منفرداً بأمثلته^(٣) الواقعة في كلام الله - تعالى - وكلام رسوله - صلى الله تعالى عليه وسلم - حسب ما ظفرت به وظننته مثلاً لما مثلته؛ فإن المقصد خطابي، والمطلب ظني، والمقام إقناعي، من قبيل ما يصح أن يكتفى فيه بالظنون والتخمينات، لا قطعي يطلب فيه الجزم واليقين^(٤).

(١) عدد ورود لفظ (النفس) في القرآن الكريم: ٢٩٨ مرة.

(٢) حجم ورود لفظ النفس في الحديث الشريف كثير وغزير؛ لكن عدد الورد في الصحيحين (البخاري ومسلم): ٢٠٠ موضع تقريباً.

(٣) في (ع): (بأمثلة).

(٤) وهو بهذا يعده مسألة اجتهادية سائغة الخلاف.

ولعمري إن معرفة ذلك (أجدى من تفريق العصا)^(١) لمن يزاول كتاب الله - تعالى - تلاوة وتدریسًا ومراجعة، وكذا الكلام للمُزاولين لكلام رسوله؛ فإن من لم يرسخ في معرفة الكلمات الواقعة في كتاب الله - تعالى - وكلام رسوله، واستعمالات العرب الجارية^(٢)؛ ربما وقع في مواضع منهما في الأغلاط والأوهام، سيما في كلمة النفس؛ لاختلاف معانيها، وتفاوت مدلولاتها، وتباين استعمالاتها بالنسبة إلى مواضعها، ولا يحصل الوقوف عليها من كتب اللغات بسهولة؛ فوضعت هذا الجمع للمبتدئين القاصرين في علوم العربية، لا لمن له قدم راسخ فيها وفي الفنون الأدبية، فإنه غير محتاج إلى هذا الجمع والتأليف.

(١) هذا مثل عربي قديم، انظر: مجمع الأمثال لأبي الفضل الميداني النيسابوري (١/

٣٧). وانظر: لسان العرب لابن منظور (فرق ١٠/ ٢٩٩). وهذا يكون المؤلف أراد

أن معرفة ذلك كثير النفع لمن يشتغل بالقرآن الكريم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) قوله: (تعالى) ساقطة من (ع).

(٣) في نسخة (س، ع): (العاربة).

فَعَقَدْتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مَعَانِي النَّفْسِ مَعَ أَمْثَلَتِهِ الْمَذْكُورَةِ لِبَيَانِهِ
وَإِيضَاحِهِ فَصْلًا عَلَى حِدَةٍ، فَبَلَغَ فُصُولَ الْكِتَابِ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَعْدَادٍ،
ثُمَّ أَرَدْتُهَا بِخَاتِمَةٍ يَذْكُرُ فِيهَا مَا يَتَعَلَّقُ بِتِلْكَ الْفُصُولِ. وَاللَّهُ -
تَعَالَى- هُوَ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، إِنَّهُ عَلَى
ذَلِكَ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ.

الفصل الأول:

في أن هذا اللفظ يجيء بمعنى ذات الله تعالى جل شأنه، قال الله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٤١) ﴿طه﴾.

﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] (١).

﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُنَّ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الأنعام: ١٢].

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦].

وفي الحديث القدسي الوارد في الصحيح: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ؛ فَلَا تَظَالَمُوا» (٢).

(١) وفي موضع آخر في (سورة آل عمران: ٣٠) نفسها: ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣).

(٢) رواه مسلم (٨/١٦).

الفصل الثاني:

في أَنَّهُ يجيء بمعنى الروح الإنساني، وهو الجسم اللطيف الحال في البدن عند جمهور المتكلمين وأهل الحديث، قال الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً (٢٨) فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَأَدْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾ [الفجر].

أي: اخرجني عن بدنك الذي ألفت به، وارجعي إلى ربك راضية مرضية؛ فهذا حال أهل البرزخ إلى البعث والنشور، ثم إذا حشر الأجساد يقال لها فادخلي في عبادي: أي فادخلي في أبدان عبادي كما دخلت أولاً، وادخلي جنتي مع بدنك الذي حللت فيه.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمَ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]؛ أي: تذهب وتخرج أرواحهم.

﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا^ص
فِي مِسْكٍ^١ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى^٢﴾
[الزُّمَر: ٤٢].

وفي غير واحد من الأحاديث: «وهو وجود بنفسه»^(١)؛ يعني
المحتضر.

وقال عليه السلام: «إذا خرجت النفس يتبعها البصر»^(٢).

(١) رواه البخاري (٨٣/٢).

(٢) رواه البزار في (مسنده ١٢٠/٩)، قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٣٣٠/٢):
«رواه البزار، والطبراني في الأوسط بنحوه، وفيه: محمد بن أبي النوار، وهو
مجهول». وهو في (صحيح مسلم: ٩٢٠)، لكن بلفظ: «إن الروح إذا قبض تبعه
البصر».

وفي غير واحد من الأحاديث: «والذي نفسي بيده»^(١)، وفي بعض الطرق: «والذي نفس محمد بيده»^(٢).

فإن قلت: إن ما هو بيده - تعالى - من ذاته - صلى الله تعالى عليه وسلم - ليس هو روحه الشريف فقط، بل روحه الشريف مع بدنه المنيف؛ فيكون الحديث الشريف مثالا للمعنى الخامس لا للمعنى الثاني.

(١) منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطب، ثم أمر بالصلاة..» رواه البخاري (٦٤٤)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب..» رواه البخاري (١٤٧٠)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم..» رواه البخاري (١٨٩٤)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «فوالذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده رواه البخاري (١٤).

(٢) منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا» رواه البخاري (٢٦١٥)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لو أن فاطمة بن محمد سقرت لقطعت يدها» رواه البخاري (٤٣٠٤)، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» رواه مسلم (١٩٣).

قلت: نعم، إلا أن أعز الأشياء في الإنسان هو روحه، سيما روحه الشريف؛ فناسب المقام الذي هو مقام الحلف والقسم بذاته تعالى جلّ جلاله، وعم نواله. ويؤيّده أنه نسب هذه النفس الشريفة إلى يده تعالى، وهو صفة من صفاته تعالى بلا كيف عند سلفنا الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين.

الفصل الثالث:

في أنه يجيء بمعنى باطن الإنسان، مثل: الصدر والقلب وما يشاكلهما من المدارك، قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهٖ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

﴿يُخَفُّونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

﴿وَأَذْكُرْ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾^(١) [الأعراف: ٢٠٥].

﴿فَاسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [البقرة: ٨٧].

(١) في الأصل ﴿وُخْفِيَّةٌ﴾، وهو خطأ.

﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].
 ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١) [آل عمران: ٦٩].

﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء: ٤].

﴿فَيُضَيِّحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا﴾ [المائدة: ٥٢].

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] على قول من يقول: إن الإيمان

(١) في نسخة (س، ع): ﴿وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النساء:

١١٣]، وهو صحيح أيضًا.

إنما هو بالقلب^(١)، وأما العمل بالأركان فخارج عنه، وعلى أن يكون (كسبت) من قبيل الإسناد إلى السبب، مثل: قوله تعالى: ﴿يَدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]، و﴿يَزْعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٠٠].
 ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [هود: ٣١].
 ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا^(٢) إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ﴾ [٦٤].
 [الأنبياء].

﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَاسْتَفْتِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].
 ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

(١) في الأصل: «الإيمان إنما هو التصديق بالقلب»، وعلى كلمة «التصديق» كلها تشطيب. ولا توجد هذه الكلمة في النسخين الآخرين أيضاً. والقائلون بالقول المشار إليه: هم المرجئة.

(٢) في الأصل (قالوا)، وهو خطأ.

﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة: ٨].

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْسُ بِهِ، فَفَسَّخْهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ

الْوَرِيدِ﴾ [ق].

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (١٧) ﴿فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (١٨) ﴿

[طه].

الفصل الرابع:

في أنه يجيء بمعنى هذا الهيكل المحسوس، وهو البدن، قال
الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ^(١).

﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤].

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] ^(٢).

﴿قَالَ هِيَ رَوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف: ٢٦].

﴿تَرَوُدُ فَتَهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠].

﴿وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ ۖ فَاسْتَعَصَمَ﴾ [يوسف: ٣٢].

(١) في ثلاثة مواضع: الثاني: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبِّئُكُمْ بِالْأَسْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَةً﴾

[الأنبياء: ٣٥]، والثالث: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا رَجَعْنَاهَا إِلَىٰ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

(٢) في ثلاثة مواضع: الثاني: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]،

والثالث: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

﴿الَّذِينَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوْدُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٥١] ^(١).

فإن قلت إن مرادها كما نشأت عن دقايق ^(٢) الحسن وبدائع الفطرة التي تحققت في هيكله الشريف عليه السلام؛ كذلك تنشأ عن الملكات الفاضلة والأخلاق الحسنة المتحققة فيه عليه السلام، ومحلها الروح أو القلب، فالمناسب هو: المعنى الخامس أو الثاني أو الثالث لا الرابع؟

قلنا: نعم، إن فرط المحبة تنشأ عما ذكرت -أيضا- إلا أن القلب والروح أمران غائبان غير محسوسين للمحب المشغوف؛ وإنما المشهود المبصر المعاین هو هذا الهيكل المحسوس؛ فالظاهر أن الذي سلب عنها الصبر والقرار، وهتك حجاب عصمتها، بحيث ما

(١) بقي في سورة يوسف ذاتها مواضع بالتركيب ذاته وفي السياق ذاته السياق، منها:

الأول: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: ٢٣]، الثاني:

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِنَّ رَوَدَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ حَسْبُ لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٥١]،

وموضعان خارج (سورة يوسف): الأول: في (سورة التوبة: ١٢٠): ﴿وَلَا يَرْضَوُا

بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾، والثاني في (سورة محمد: ٣٨): ﴿فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُّ وَمَنْ

يَبْخَلُّ فَإِنَّمَا يَخَلُّ عَنْ نَفْسِهِ﴾.

(٢) هكذا في (الأصل): «دقايق» بالتسهيل، ومثله: (بدائع، والصنایع).

وقعت لها مبالاة، وما اجتنبت عن قصد السوء والفحشاء - مع علو شأنها؛ لأنها زوجة سلطان مصر وبنت سلطان مقرب - وعن الشهرة بالسوء عند أهل مدينتها؛ إنما هو مشاهدة الصنائع العجيبة ومعاناة البدايع الغريبة الأنيقة المبصرة المعينة المتحققة في هيكله الشريف.

ويؤيد ما قلنا قوله عز من قائل: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]؛ إذ النص الشريف صريح في أن هذه الحيرة الواقعة لهن، والدهشة المذهلة إياهن عن أنفسهن، بحيث قطعن أيديهن، و سلبن ونفين عنه - عليه السلام - سلباً مقارناً بالحلف بالله العلي العظيم كونه من جنس البشر والإنسان؛ إنما نشأت من المعاناة والإبصار، ونبتت من المشاهدة والإحساس بغتة وفجاءة؛ إذ الوقت قصير في الغاية، والأمد سريع بالنهاية.

وكذا يؤيد ما قلنا قوله عز من قائل: ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنِنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٣٢]، وإن زليخا إنما طلبت وأرادت منه - عليه السلام - الوقاع ودواعيه: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ

رَبِّي أَحْسَنَ مَوَآئِي إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿يوسف: ٢٣﴾
﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

قال الله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ
إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧]، أي: لم تكونوا بالغي بلد إلا بمشقة
تحصل لأبدانكم.

﴿فَلَعَلَّكَ بَدِخْتُ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
أَسَفًا﴾ [٦] ﴿الكهف﴾^(١)، أي: قاتل نفسك أسفًا على إصرارهم على
كفرهم وإنكارهم لهذا الحديث.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الكهف:
٢٨].

﴿قَالَ أَقَلَّتْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [٧٤] ﴿الكهف: ٧٤﴾.

(١) بقي موضع آخر مشابه: ﴿لَعَلَّكَ بَدِخْتُ نَفْسَكَ لَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء].

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ^(١) فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

﴿قَالَ يَمُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القصاص: ١٩].

﴿وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: ٨].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) ﴿[الذاريات]

(١) في (جميع النسخ): (عليهن)، وهو خطأ.

﴿سَرِيهِمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فُصِّلَتْ: ٥٣].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَن نَّبْرِأَهَا﴾ [الحديد: ٢٢].

﴿وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [الصف: ١١]، إن خُصَّت المجاهدة بالحرب والقتال مع الأعداء الظاهرة، مثل: الكفرة والمشركين، يكون النظم الشريف من قبيل الرابع؛ وإن عُمَّت إلى المجاهدة مع النفس والشیطان والهوى - أيضا -، وعُمِّم (في سبيل الله) - أيضًا - إلى الغزو وغيره؛ يكون النظم الشريف مثالا للخامس.

وفي (الصَّحيح): «نفسك مطيتك فارفق بها»^(١)، وفيه - أيضا - : «إن لنفسك عليك حقا»^(٢).

(١) لم أجده مستنداً، وممن ساقه على أنه حديث: السرخسي في (المبسوط ٣٠/ ٢٧٠)،

وابن نجيم في (الأشباه والنظائر: ١٦٠).

(٢) رواه أحمد (٦/ ٢٦٨) في قصة عثمان بن مظعون، قال الألباني في (إرواء الغليل

٧/ ٧٩): «إسناده جيد».

الفصل الخامس

في أنه يجيء بمعنى الروح مع البدن، قال الله تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ۖ فَآلَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۚ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ﴾ [الشمس: ١٠].

﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنَّكَ بِقُرْعَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي ۗ﴾ [يونس: ١٥].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣]، أي: إنما ضرر بغيكم وسوء عاقبته على بدنكم مع روحه، حيث يعذبان بعذاب جهنم بسبب هذا البغي.

﴿هُنَالِكَ تَبْلَوْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۗ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۖ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۗ﴾ [يونس: ٣٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ^(١) يَظْلِمُونَ

﴾ [يونس: ٤٤].

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨] ^(٢).

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظِلْمًا^(٣) مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا

الْتِدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ [يونس: ٥٤].

﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [يونس: ١٠٨] ^(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، أي

حتى يغيروا ما تحقق في أنفسهم من مواظبة الطاعات واجتناب المعاصي، وذلك إنما يتحقق بالبدن مع الروح.

(١) في (الأصل): «كانوا أنفسهم»، وهو خطأ.

(٢) بقي موضع آخر مشابه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩].

(٣) سقطت من (جميع النسخ).

(٤) بقي موضعان مشابهان: ﴿وَأَن أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ

إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ﴾ [الزمر: ٤١].

﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٤٢]، أي يعلم - تعالى - ما تكسب كل نفس مؤمنة من الأعمال الصالحة والأخلاق المرضية، مثل: الإيمان والإخلاص، ويعلم ما تكسب كل نفس كافرة من الأعمال الفاسدة والأخلاق السيئة، مثل: الكفر والشرك والنفاق.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ٣١]، أي: توفى كل نفس من النفوس الصالحة والنفوس الطالحة؛ فالنفوس الصالحة تجزى بما عملت من الخيرات، مثل: الإيمان والإخلاص، وكذا سائر الأعمال الباطنة، وذلك بالروح، ومثل سائر الأعمال الظاهرة المتحققة في أعضاء البدن. وكذا النفوس الطالحة، تجزى بما عملت من الشرور الظاهرة والباطنة.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، إن أحسنتم بالإيمان والإخلاص والأعمال الصالحة وباجتناب المعاصي؛ يترتب لإحسانكم هذا نفع لأبدانكم وأرواحكم، وإن

أسأتم بالشرك والكفر وسائر المعاصي؛ يترتب لإساءتكم هذه ضرر لأبدانكم وأرواحكم.

﴿لَتَجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، أي: لتجزى كل نفس بما عملت من خير أو شر.

﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٣]، أي: لا نكلف نفساً إلا بما في وسعها، مثل: الإيمان بالله وأنبيائه ورسله واليوم الآخر، والتحلي بالأخلاق المرضية، والتخلي عن رذائلها، واكتساب الأعمال الصالحة، والاجتناب عن الأعمال السيئة، وكل ذلك مما في وسع الإنسان، ومما يتصف به جنس بني آدم.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا^(١) مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، أي: ومن جاهد باجتنب الكفر والشرك وسائر الأخلاق الذميمة والأعمال المنهية، وباكتساب الإيمان والتوحيد وسائر الأخلاق الحميدة

(١) في (الأصل): «وما تفعلوا»، وهو خطأ. وفي (س، ع): «وما تنفقوا».

والأعمال المرضية، فإنما يجاهد لنفع نفسه ونجاتها من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، وفوزها بسعادة الدارين.

﴿وُوفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾^(١) وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿[آل عمران: ٢٥].

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾^(١٧) ﴿[غافر].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤٦) ﴿[فصّلت].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١٨) ﴿[الحشر]، أي: ما قدمت من الإيمان والإخلاص وسائر الأعمال الظاهرة والباطنة.

﴿الَّذِينَ تَوْفَّقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢٨) ﴿[النحل: ٢٨].

(١) في (جميع النسخ): «ما عملت»، وإنما ذلك في موضع آخر: ﴿وُوفِيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾^(٧) ﴿[الزمر].

(٢) هناك موضع آخر مماثل له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوْفَّقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٩٧) ﴿[النساء: ٩٧].

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل:

٣٣]^(١).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [هود: ٢١]^(٢).

(١) الآيات في ظلم النفس تسعة مواضع، هذا أحدها، منها ما سيذكره المؤلف بعد قليل، والباقية هي: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٠]، ﴿أَنْتَهُمْ رُسُلُهُمْ يَابِئْتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [التوبة: ٧٠]، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿فَمَا كَانَتِ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ [الكهف: ٣٥].

(٢) الآيات في خسارة النفس ثمانية مواضع، هذا أحدها، والباقية هي: ﴿لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢]، ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠]، ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَعْمَلٌ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣]، ﴿وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الشورى: ٤٥].

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] ^(١).

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ^(٧) [التكوير]، أي: الأرواح والأبدان قورنت واتصلت كل بالآخر، وإن كان معناه يقرن بين الرجلين الصالح مع الصالح في الجنة، والرجل السوء مع الرجل السوء في النار، كما روي ذلك، أو كان معناه أن يقرن كل إنسان بمن كان يلزمه في الدنيا من ملك وشيطان، فيكون النظم الشريف على كل من الوجهين غير ظاهر في المعنى الخامس.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ^(٥) [الانفطار] ^(٣). وإن كان معنى النظم الشريف علمت نفس ما قدمت من المعاصي وسوف

(١) ومثلها في التقديم للنفس: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ

خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠].

(٢) ومثلها قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾ ^(١٤) [التكوير].

من التوبة، على ما ذكره قتادة^(١)، لم يكن مثالا للمعنى الخامس، بل الظاهر أنه مثال للمعنى السادس.

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]^(٢).

﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَرَكَاةٌ طَيِّبَةٌ﴾ [النور: ٦١].

﴿وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥].

(١) قاله قتادة في الآية، قال: ما قدمت من خير، وأخرت من حق الله عليها لم تعمل به. وقال: ما قدمت من طاعة الله، وما أخرت من حق الله. (انظر: تفسير الطبري ٢٤/٢٦٨).

(٢) ومن نسيان النفس كذلك: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا
أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥].

﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۖ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [٢٤] ﴿[الأنعام:
٢٤].

﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

﴿فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
[البقرة: ١٠٢] ^(١)

(١) ومن شراء الأنفس قوله تعالى: ﴿يُسْكَمَ أَشْتَرُوا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا
أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٩٠].

الفصل السادس:

في أنه يجيء بمعنى أمر موجود في بدن الإنسان، جبل على الشر والفساد، وتحريض صاحبه وإغرائه على القبائح والفضائح، وتثبطه^(١) عن الأعمال الصالحة، وهو المذموم من بين ما صدق عليه النفس، وهو الذي أمر العباد أن يتخذوه^(٢) عدواً ويجاهدوه^(٣) مجاهدة الأعداء الظاهرة بل أشد. حتى يقال له الجهاد الأكبر، وأمرُوا أن يخالفوه مخالفة أكيدة، حتى أن تشرف الإنسان بتشرف الزلفة والكرامة عند الله - تعالى - بمخالفته إياه، وعدم مساعدته إلى ما تدعوه. قال - تعالى - حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْ أَعْصِرُ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣].

﴿فَلَا تُلْوَموني وَلَوْ مُوَا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١) هكذا في جميع النسخ: "وتثبطه". ولعل القياس: وتثبطه.

(٢) هكذا في جميع النسخ: "يتخذوه". ولعل القياس: يتخذوه.

(٣) هكذا في جميع النسخ "ويجاهدوه". ولعل القياس: ويجاهدوه.

﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ [كَفَرُوا]^(١) يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ

أَنفُسَكُمُ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر]

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)﴾ [القيامة]

نزلت في عدي بن ربيعة بن أبي سلمة الثقفي؛ كفر بالبعث، وكان ختن الأحنس بن شريق^(٢)؛ فالمراد من لومها هو لومها على نفسها في الآخرة؛ بسبب كفرها وشركها وإنكارها البعث، ومخالفة الرسول في دار الدنيا، وإن كان المراد بها نفس المؤمن؛ فالمراد من لومها هو لوم صاحبها في الدنيا على تقصيرها في طاعة الله تعالى، وعلى تقصيره في اجتنابه عن المنهيات؛ فلم يكن النظم الشريف مثالا لما نحن فيه؛ بل يكون مثالا للثاني أو الثالث.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٠].

(١) ساقطة من (جميع النسخ).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٤/٣٦٨).

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]،
وقال سيد العارفين: «اللهم، لا تكلني إلى نفسي؛ فإنك إن تكلني
إلى نفسي؛ تقربني من الشرِّ، وتبعدني من الخير»^(١).

وقال أيضًا: «اللهم، لا تكلني إلى نفسي؛ فإنك إن تكلني إلى
نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق
إلا برحمتك»^(٢).

وقال أيضًا: «اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبدا»^(٣).

(١) رواه أحمد (٣٢ / ٧)، والحاكم في (المستدرک ٢ / ٤٠٩).

وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) رواه الحاكم في (المستدرک ١ / ٦٩٧)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم
يخرجاه»، والبيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٢١١).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠) بلفظ: «دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني
إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله، لا إله إلا أنت». وصححه ابن حبان
(٣ / ٢٥٠)، وحسن إسناده الألباني في (صحيح سنن أبي داود).



وقال أيضًا: «رب أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان
وشركه»^(١).

وقال أيضًا: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٢).

-
- (١) رواه أبو داود (٥٠٦٧) بلفظ: «قل اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه». وصححه ابن حبان (٢٤٠/٣)، والترمذي (٣٣٩٢).
- (٢) رواه البيهقي في (الزهد الكبير ٢/٢٩)، قال الألباني: «موضوع». انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، (٣/٣٠٨).

الفصل السابع:

في أنه يجيء بمعنى مطلق الذات من المخلوق، إنساناً كان أو ملكاً أو جنّاً، حيواناً كان أو جماداً، قال الله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨].

﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، أي: وما تدري ذات من الجن والإنس والملك،

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «خمس من مفاتيح الغيب

لا يعلمهن إلا الله»، وقرأ الآية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ

السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة^(١).

(١) قوله: (تعالى) ساقطة من (س، ع).

(٢) تتمه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي

نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

والحديث رواه البخاري في (صحيحه: ٥٠): بلفظ: «مفاتيح الغيب خمس: إن الله

عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب

غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير».

﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥٤) [يس].

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (٢١) [ق].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٣٨) [المدثر]، أي: كل خلق محتبس يوم القيامة بسبب الحساب على أعماله، فيتخلص بثقل موازينه، ويشقى بخفتها.

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) [القيامة]، أي: حجة وشاهد على ذاته، لا حاجة في الشهادة عليه من غيره؛ لشهادة جوارحه بما فعلن من المعاصي في الدنيا، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) (١) [النور].

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (١٩) [الانفطار]، أي: لا يملك مخلوق لمخلوق شيئاً.

(١) في (جميع النسخ): «بما كانوا يكسبون»، وهو خطأ.

الفصل الثامن:

في أنه يجيء بمعنى الجنس، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]،

أي: من جنسكم.

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١]^(١).

﴿وَمِنْ عَائِلَتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم: ٢١]^(٢)،

أي: من جنسكم.

(١) نسبة الخلق إلى نفس واحدة تكرر في القرآن في أربعة مواضع، ثانيها: ﴿هُوَ الَّذِي

أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وثالثها: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، ورابعها: ﴿خَلَقَكُمْ

مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الرؤم: ٦].

(٢) نسبة الأزواج إلى أنفسنا في القرآن في ثلاثة مواضع، ثانيها: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ

أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: ٧٢]، ثالثها: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١].

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ^(١) تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]، أي: ضرب الله لكم معاشرا الأحرار الذين يملكون عبيدا وجواري مثلا من أنفسكم، أي من أجناسكم أيها الأحرار، هل لكم شركاء فيما تملكون من الأموال من ما ملكت أيماكم تخافونهم؛ أي أتخافون ممالئكم في تصرفكم في أموالكم كخيفتكم أنفسكم، أي: كخوفكم من أجناسكم شركاء أحرار، حيث لا تقطعون أمرا دون مشورتهم!

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأُنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ [الشورى: ١١] ليس الجنس المستعمل ههنا بمعنى الجنس المنطقي^(٢)، وهو المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق

(١) قوله: ﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ليس في (جميع النسخ).

(٢) يعني الجنس في المنطق، ولهذا قال ابن سينا: «الجنس هو المقول في كثيرين

مختلفين بالأنواع». انظر: المعجم الفلسفي (١/٤١٦).



في جواب ما هو؛ بل بمعنى النوع والصنف اللذين هما أخص من الجنس المنطقي^(١).

(١) من قوله (ليس الجنس المستعمل ههنا) إلى قوله (أخص من الجنس المنطقي)

ساقط من (س، ع).

خاتمة:

ففيها فوائد:

الأولى:

أن لفظ النفس قد يستعمل عند العرب بمعنى الجسد وبمعنى الدم؛ كما يقال: ما له نفس سائلة وما ليس له نفس سائلة أي دم، وبمعنى الماء؛ لفرط حاجتها إليه، وبمعنى الرأي، يقال فلان يؤامر نفسه^(١) إذا تردد في الأمر، واتحد له رأيان وداعيان لا يدري على أيهما يعرج، كأنهم أرادوا^(٢) داعيي النفس وهاجسي النفس، فسموهما نفسين. وبمعنى العين الضارة، يقال: أصابت فلانا

(١) قال الزمخشري في (أساس البلاغة ٢/ ٢٩٣): فلان يؤامر نفسه إذا اتجه له رأيان.

(٢) في نسخة (س): «رادوا» بدون همزة في أوله.

نفس، أي أصابته عين، ونفستك بنفس إذا أصبته بعين، والنافس العائن^(١).

والثانية:

أنه يطلق على الملائكة وأرواح البشر من المؤمنين وصلاح الجن، فيقال لهم: النفوس الخيرة، والنفوس الزكية، والنفوس القدسية. ويطلق على الشياطين وأرواح الكفرة من البشر ومردة الجن، ويقال لهم: النفوس الغوية، والنفوس الشريرة، والنفوس الشقية^(٢).

(١) انظر: المعجم الوسيط، مادة نفس (٢/ ٩٤٠)، المعجم الاشتقاقي المؤصل (٤/ ٢٢٤٠).

(٢) انظر: روح المعاني لشهاب الدين الألوسي، دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ (١/ ١٢٤).

والثالثة^(١).

أنه يقال في عرف الحكماء والفلاسفة^(٢): «نفس فلكي»، ويراد به أمر مجرد عن المادة، لا يقبل التحيز في الأحياء والجهات، يتعلق بالفلك تعلق التدبير والتصرف. ويقال: «نفس إنساني» و«نفس ناطقة» لأمر مجرد^(٣) كذلك يتعلق بالإنسان تعلق التدبير والتصرف. وإثبات مثل هذا الأمر المجرد، الذي يمتنع عليه التحيز في الأقطار والجهات وقبول الإشارات الحسية، مما اخترعه الحكماء والفلاسفة بآرائهم الفاسدة. وكتب الأنبياء الأقدمين وأسفار الأنبياء وكلماتهم كلها ناطقة بخلافه، كما يظهر بالمرجعة إليه، وهذا كتابنا - عز قائله وجل جلاله - ينطق علينا بالحق: {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [النحل: ٢]، {تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} [القدر:

(١) في نسخة (س): والثالثة.

(٢) انظر: النفس من كتاب الشفا لابن سينا، نشر حسن الأملي ١٣٧٥ هـ، ص ٦٣، والمعجم الفلسفي لجميل صليبا، دار الكتاب اللبناني ١٩٨٢ م (٢/ ٤٨٠)، ورسالة معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا، دار هندادوي ٢٠١٧، ص ٧

(٣) في نسخة (س) و(ع): لا مجرد.

[٤]، {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر: ٢٩]،
 [٣٠]. أي: فادخلي في أبدان عبادي وادخلي معها جنتي. {وَتَزْهَقَ
 أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة: ٥٥]، {جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي
 أَجْنَحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [فاطر: ١]، {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا^(١) بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:
 ١٦٩].

قال سيد العارفين - عليه وعلى إخوانه المرسلين صلوات
 الله وتسليماته -: "أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح
 في رياض الجنة، وتأكل من ثمارها"^(٢).

(١) في جميع النسخ (أموات).

(٢) أصل الحديث رواه مسلم (١٨٨٧): عن مسروق قال: سألتنا عبد الله عن هذه الآية
 (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون). قال: أما إنا
 قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش،
 تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم
 اطلاعة، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة
 حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا
 قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما
 رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

وإخراج كل من هذه النصوص الشريفة عن ظواهرها بتكلفات تأبى عنها الطباع السليمة، وتعسفات تنبو عنها القرائح المستقيمة، لمجرد التوفيق والتطبيق على قواعد الفلاسفة، التي أكثرها نواقض قواعد الإسلام، وهوامد أساس الدين من الهفوات البشرية والكبوات الجوادية على رأيي وعلمي «وما على إذا ما قلت معتقدي»، مع أن العجب كل العجب أنه ما دعت إليه ضرورة دينية، ولا مست إليه حاجة شرعية. وإن مذهب جمهور المتكلمين وأهل الحديث على أن الملائكة والأرواح البشرية أجسام لطيفة نورانية^(١).

ثم إن الفلاسفة يطلقون النفس الفلكية -أيضاً- على أمر له حلول في جميع أجزاء الفلك، وهو في الفلك عندهم بمنزلة خيال الإنسان المتحقق في دماغه، ويطلقون النفس -أيضاً- على المزاج الثابت في النباتات، ويقولون له «النفس النباتي»، و^(٢) على المزاج الثابت في الحيوانات، ويقولون له «النفس الحيواني».

(١) في (س، ع) زيادة: «بقى بعد خراب أبدانها إلى ما شاء الله تعالى».

(٢) قوله: «على المزاج الثابت في النباتات ويقولون له: النفس النباتي. و» سقط من

(س).



تم وكمل على يد جامعه عبد الله بن عثمان بن موسى
المعروف بمستجي زاده.

كان الله لهم، وأوتي كتابهم بيمينهم. في رابع شهر محرم الحرام
سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف.

أخيرًا

بعد هذه التطوافة التي شرفنا فيها بصحبة هذا الجهد العلمي،
من عالم خبر نصوص الوحي كتابًا وسنة، واهتم بتراثها، واشتغل
بقضية تمس النفس الإنسانية في وقت مبكر من القرن الثاني عشر
الهجري، بأسلوبه العلمي الأصيل، الذي قدم به مادة علمية دسمة
من آيات القرآن الكريم والحديث الشريف، وكون بها منظومة
مفهومية لأهم المعاني التي يدور عليها لفظ النفس في القرآن
الكريم والحديث الشريف.

والرسالة -على وجازتها - قدمت صورة شاملة حول النفس
في القرآن الكريم والحديث الشريف، جديرة بالعناية، خليقة
بالاهتمام من قبل الباحثين والمشتغلين بالعلوم النفسية
والدراسات القرآنية.



وهنا أحمد الله -تعالى- على ما وفقني في الاشتغال على هذا
النص التراثي النفسي الأصيل، وأسأله القبول والنفع، وأن يجعله
من الخير الذي يمكث في الأرض لنفع الناس.
والله أعلم، وإسناد العلم له أسلم.

مراجع العناية بالمخطوط

- ١ - آراء أهل المدينة الفاضلة، لأبي نصر الفارابي، دار المشرق ١٩٧٣، بيروت لبنان.
- ٢ - أساس البلاغة، للزمخشري، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ.
- ٣ - الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة ١٥، ٢٠٠٢.
- ٤ - التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.
- ٥ - التحقيق في كلمات القرآن الكريم، للمصطفوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٠ هـ.
- ٦ - تخريج أحاديث الكشاف، للإمام الزيلعي، دار ابن خزيمة الرياض، ١٤١٤ هـ.
- ٧ - تفسير الطبري، الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ.
- ٨ - تهذيب اللغة، للأزهري، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ٢٠٠١ م.

٩- رسالة معرفة النفس الناطقة وأحوالها لابن سينا، دار
هنداوي ٢٠١٧.

١٠- الروح، لابن القيم، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، عالم
الفوائد، ضمن سلسلة آثار الإمام ابن قيم الجوزية، رقم
٢٦.

١١- زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج ابن الجوزي، دار
الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

١٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها -
للعلامة الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت - لبنان،
١٤٠٥هـ.

١٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيئ على الأمة،
الألباني، مكتبة المعارف، الرياض - السعودية، ١٤٢١هـ.

١٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لعلاء الدين علي بن
بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ١٤١٤هـ.

١٥- صحيح الإمام البخاري، ترقيم: عبد الباقي، المطبعة
السلفية، القاهرة، مصر، ١٤٠٠هـ.

١٦- صحيح الإمام مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري،
دار المغني، ١٤١٩هـ.

١٧- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، المكتب
الإسلامي، بيروت - لبنان، ١٤٠٦هـ.

١٨- صحيح جامع الترمذي، للألباني، دار المعارف، الرياض -
السعودية، ١٤٢٠هـ.

١٩- صحيح سنن أبي داود، للألباني، المكتب الإسلامي،
بيروت - لبنان، ١٤١٢هـ.

٢٠- صحيح سنن النسائي، للألباني، دار المعارف، الرياض -
السعودية، ١٤١٩هـ.

٢١- فتح القدير، للشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٤هـ.

٢٢- الفصل في الملل والنحل، لابن حزم، دار الفكر، بيروت،
١٣٢١هـ.

٢٣- كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، مكتبة لبنان -
ناشرون، ١٩٩٦.

٢٤- لسان العرب، لابن منظور، المطبعة الأميرية ببولاق - مصر، ١٣٠٠هـ.

٢٥- ماهية النفس، أحمد كرار الشنقيطي، رسالة غير منشورة.

٢٦- مجمع الأمثال، لأبي الفضل الميداني النيسابوري، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٢٧- المسالك في الخلافات بين المتكلمين والحكماء، لعبد الله بن عثمان، المعروف بمستجي زاده، تحقيق: د. سيد باغجوان، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ.

٢٨- مسند البزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٨٨م.

٢٩- المعجم الاشتقاقي المؤصل، لمحمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠.

٣٠- معجم المؤلفين، لرضا كحالة، الرسالة، بيروت - لبنان، (١٤١٤هـ).

٣١- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٣٢- مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، لعبد المجيد النجار، دار

الغرب الإسلامي، ٢٠٠٨.

٣٣- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، لعبد الكريم حامدي،

دار ابن حزم، ٢٠٠٨.

٣٤- النفس من كتاب الشفا لابن سينا، نشر حسن الأملي

١٣٧٥هـ.

٣٥- هدية العارفين: أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،

لإسماعيل باشا البغدادلي، طبع وكالة المعارف - إستانبول،

١٩٥٥م.

تم بحمد الله تعالى

موضوع الكتاب هو النفس، والنفس
تشتاق إلى معرفة مايتعلق بها...
موضوع الكتاب شائق من وجوه:
منها حسن الدراسة التي قدمها
المحقق ولايكون ذلك إلا عن جودة
تصوّر.

ومنها: براعة المصنف في تركيب
العبارة، وجمال الأسلوب.
شكر الله "للمحقق" عمله وبحثه
ودأبه!

أ.د. عبد العزيز الحربي

السبيعي
الخيرية

